

المقطف

الجزء الرابع من المجلد الحادي عشر بعد المئة

١ نوفمبر سنة ١٩٤٧

١٨ ذي الحجة سنة ١٣٦٦

الكوليرا^(١)

أو الهواء الأصفر

هذا العابر الأثيم مرّ بنا منذ ٤٥ سنة مرور المذنب . وكنا نظن انه عبر ولم يعد . فاذا هو يشواقه جو النيل الجميل وهوؤه العليل ومأوه السلسبيل وخضرته الخضلة فعاد يبتغي أن يتمتع بشتاء خصيب نضر . ولـكنه لن ينال من خيراتنا وطراً ان شاء الله ما دامت حكومتنا السنية وعلى رأسها جلالة فاروقنا المعظم يقظة ساهرة .

إن موطن هذا الطاغية الخبيث أرض الهند السفلى منذ أزل لا يعرف أوله . والظاهر أن سكان ذلك الاقليم أصبحوا في مناعة قوية منه . وربما كان لشفائهم منه عقاقير عندهم تعودته أمزجتهم ، فوقتهم من الانقراض به .

ولم يعلم انه سرى من هناك الى البلاد الأخرى قبل سنة ١٨١٧ اذ طغى الى دلتا الجنجس في الهند ثم الى أفريقيا فآسيا فأوروبا . ثم أبحر الى الولايات المتحدة في سنة ١٨٣٢ —

(١) هذا المقال مستمد من دائرة المعارف البريطانية آخر طبعة (٢) بكتيريولوجيا ادوين جوردان
أستاذ في جامعة شيكاغو (٣) Practice of medicine تأليف ا. ا. ستيفن استاذ في جامعة فيلادلفيا

١٨٣٦ وتردد اليها بعد ذلك ٤ مرات كانت الأخيرة منها سنة ١٨٧٣ . وقد تردد الى مصر
بضع مرات كانت الأخيرة منها ١٩٠٢

ينتقل هذا الوباء الفظيع بين الافطار بواسطة القوافل التجارية والحجاج حيث يحدث
الاختلاط بين عناصر الأمم المختلفة .

مع أن ميكروب الكوليرا نفسه ضعيف تقتله أخف مضادات الجراثيم المهلكة حتى
الضعيفة منها فهو سريع النمو والتكاثر والانتشار شديد الفتك بالبشر يستعصي لدى كل
علاج ويمز عنده الغفاء .

قبل سنة ١٨٨٣ لم يكن سبب هذا الوباء الفظيع معروفاً . فكان بعض المعالجين يظنون
أن سببه الغامض في الهواء ، فكانوا يحرقون الكبريت لكي ينتشر بخاره في الهواء فيطهر
من الوباء . ولعله ممي بالهواء الأصفر لأن الكبريت الذي يظهره أصفر الماون والله أعلم .

ما هو الميكروب

وقد ممي بالكوليرا لأن الكلمة منحوتة من أصل يوناني هو Cholera ومعناه المرارة
التي تحتوي على عصير الصفراء . وكانوا قديماً يعتقدون أن هذه الصفراء هي سبب غضب
الانسان وتهيجه . وربما جاءت تسميته بالأصفر من صفراء المرارة ، أو المزاج الصفراوي .
ولكن ما علاقتها بالهواء ؟

بقي سبب الكوليرا سرّاً غامضاً إلى أن كشف جرثومته كوخ الطبيب الألماني المشهور
مكتشف مكروب السل أيضاً . رآه في امعاء المصابين بالكوليرا وسماه Coma Bacillus أي
الباشلوس الضمّي لأنه يشبه حركة الضمة (') العربية أو الواوي لأنه يشبه حرف (و)
الهجائي ومعنى باشيلوس « عصا صغيرة » أو عود صغير وكان في كوليرا سنة ١٩٠٢
يسمونه المكروب العصوي الضمّي لأن شكله يشبه عوداً منحنيّاً كالهلال . وكان أخرى
أن يسمى المكروب الهلالي . وكان في بعض زرطاته يظهر بشكل حرف S اللاتيني

وأخيراً رأوا أنه ليس من الأسرة العصوية Bacillus بل هو من الأسرة الزغبية
lagillate المهترزة فسموه Vibrio cholerae لأن له ذيلاً يهتز وبواسطته يتحرك ويحرك . ويرى

بعضهم انه نسيب باشيوس الدوسنطاريا، ولهذا ينجع به العلاج بالسلفاجوانايدين الذي يعالج به الديسنطاريا أيضاً .

طوله نحو ١ - ٢ من الألف من المليمتر . سريع النمو في القلويات نشيط الحركة فيها ويموت في الحامض . لا يعيش في الماء أكثر من أسبوع . يعيش على سطوح الخضرة والقائمة الرطبة أياماً قليلة . يموت في الحر القاطظ وفي الجو الجاف في بضع ساعات . يعيش في الغائط البشري من ٢ الى ٧ أيام . الغريب انه يموت في ضوء الشمس . وفي الدم البشري يموت في حرارة ٦٥ سنتيغراد وفي برودة ١٥ سنتيغراد فوق الصفر . قد لا يموت في هذه البرودة بل يتوقف نموه حتى اذا دفيء يعود فيعيش . عند الصفر يموت بتاتاً . جميع المطهرات كالبنيك والكريولين وبرمنجنات البوتاس الخ.. حتى الخفيفة منها تقتله . الماء الغالي يقطع دابرہ بتاتاً .

لهذا يفرض على الجمهور أن يستعملوا المطهرات المختلفة للنظافة . ولانه يموت في الحوامض فينصح الأطباء للجمهور أن يقطروا في كأس ماء الشرب قطرات من حامض الليمون او الخل قبل الشرب ولا سيما إذا كان الماء آتياً من مصدر غير معقم . وليس ذلك ضرورياً اذا كان ماء الشرب من موارد ماء المنازل لأن شركة الماء تعقمه . وقد أضيف اليه في هذه الاثناء غاز الكلور ، وهو ضد الفساد والعفونة .

مصل الدم البشري يقتل جراثيم الكوليرا حالا ، ولذلك لا تنطرق من الامعاء الى سائر أعضاء الجسم بدليل أنها لا توجد في البول ولا في سائر المفرزات كالعرق ولا يرى إلا في الغائط والقيء .

بعد تجارب متعددة في خنزير غينيا لم يثبت ثبوتاً قطعياً وجود سم في حاصلات ميكروب الكوليرا كما يوجد في حاصلات جراثيم الدفتيريا والدوسنطاريا وغيرها . وإنما يلاحظ أن في داخل جسمه نفسه ممثلاً لا يفرزه وإنما يبرز منه في حالة انقلاص وموته ، ولهذا يشك في فاعلية اللقاح المستخرج منه ، ويظن البعض أن الحصانة بلقاحه لا تتجاوز الستين بالمئة على الأكثر وبعضهم لا يعتقد بأكثر من عشرين بالمئة . ومهما كان اللقاح ضعيف الفاعلية فخير أن يستعمل إذا لا بد أن يفيد ولو بتخفيف تأثير الاصابة .

العروى

تنقل العدوى من إنسان الى إنسان ، من غير واسطة حشرة أو حيوان عن طريق الجهاز الهضمي فيجب أن لا يدخل الى الفم شيء إلا إذا كان معقماً وبأصابع نظيفة وأدوات المائدة المعقمة بمحلول الكريولين أو برمنجنات البوتاس .

ومن أروء وسائل العدوى الذباب الخبيث وهو أعدى أعداء الانسان وأصدق أصدقاء الميكروبات ، ينقلها من القمامات والبراز وسائر الفضلات ثم يغط على جميع أصناف الطعام ويلوثها وبذلك تجب إبادته برشاش د . د . ت

تأثيره في الجسم

متى دخل الميكروب الى المعدة التقى بالعصارة المعدية . وهذه تحتوي على الحامض الهيدروكلوريك . والحامض يقتله فيسلم الانسان . ولكن « ليس كل مرة تسلم الجرة » . فلا يندر أن تفلت جرثومة واحدة أو بعض الجراثيم من الحامض فتبقى طالقة مع الطعام الذي لم يتم هضمه فتخرج من المعدة الى الامعاء . وهناك تنشأ بالسلامة إذ تجد حقلاً صالحاً لمعيشتها فتتكاثر بسرعة وتترعرع .

ومتى استقر الميكروب في الامعاء كادت زغب الغشاء المخاطي . Epithelium فيتهيج هذا الغشاء . والتهيج يخرج الامعاء أن تطرد المواد التي فيها لكي تتخلص من السبب الذي أوجب تهيجها . فتطرد بعضها الى أسفل فالى المستقيم فتندفع منه الى الخارج بشكل إسهال متعاقب . وقد سماه الأطباء في كوليرا ١٩٠٢ ذرباً ، وتطرد البعض الآخر الى فوق فيخرج من الفم قيئاً . وقد يكون القيء تهيجاً أي بسهولة ولا يخفى أن هذا التهيج والطرء الذي ينجم عنه يزعج المعدة والامعاء جميعاً فيحدث المغص والتشنج

كل ذلك يستوجب أن ترتد سوائل الدم الى المعدة والامعاء لكي تحرف معها محتويات المعدة . فالإسهال والقيء الطارئين للمحتويات بما فيها من الجراثيم المسببة كل هذه الهبضة . وكما نضح الدم السائل الذي فيه نطآت وظيفية الدم وتركز وضعفت دورته . ولهذا لا بد من

لتعويض نقص سوائل الدم بحقن الوريد بمصل الملح الطبيعي وبمصل الجليكوز لكي يبقى الدم قائماً بوظيفته . إذا لم يُجدّد قوام الدم بالحقن يحدث الانهيار فالاختضار بالموت .
لا تصاب الحيوانات بالكوليرا ، ليس لها هذا الشرف الخاص بالإنسان .
قد يكن الميكروب أحياناً في الأمعاء من عشرة أيام الى ٢٠ يوماً قبل أن يظهر فعله .
ولاحظ أنه بقي في بعض الأحوال ٦٩ يوماً .

الاعراض

مضى ترعرع الميكروب في الأمعاء وبدأ الاسهال فالتوسع يتوجع المريض مغصاً وتشنجات بحيث لا يتمالك نفسه . وتهبط الحرارة الى ٣٦ بمقياس سنتيغراد أو أقل ثم يقل البول تدريجاً الى أن ينقطع تماماً إلا إذا حقن وريد المصاب بالمصل الملحي ومصل الجليكوز . وأخيراً ينف الاسهال ويسنم الألم والتشنج . يبقى العقل متنبهاً الى ساعة الاختضار أو الانهيار Collapse . يستمر الانهيار بضعة ساعات . وقد يمتد الى يوم أو يومين الى أن ينتهي بالموت لا يندر أن تمحسن الحال قبل موعد الموت . فإذا بدأ التحسن بشّر المصاب بأرجحية السلامة . يعود النبض وترتفع حرارة الجلد وأحياناً ترتفع الى الحد الطبيعي أو ما فوق الطبيعي . وينقطع الاسهال بتاتاً ويعود التبول . ولكن يكون البول معتكراً برهة محتويّاً على زلال وترتد القوة العضلية وتنشط الحركة الى أن يتم الشفاء في نحو أسبوعين مع ذلك يبقى المصاب عرضة للخطر إما بنكسة أو بظهور مرض آخر كالتيفوئيد مثلاً بجمرة خفيفة وقد لا يحتمل الجسم المنهوك بالكوليرا . ويصحبه هذيان يبتدىء بالتسمم وبالغيبوبة Coma وينتهي بالموت

وقد تظهر في مدة انتشار الكوليرا أمراض تشبهها . ولدى الفحص البكتيريولوجي تظهر الحقيقة . فان لم تكن كوليرا واحدة تكون أعراض تسمم من اكل أو غيره أو دوسنتاريا ، واذن تمكن المعالجة ويؤمل الشفاء .

يبتدىء مرض الكوليرا حاداً . ثم تنخفض حدته وإنما تذر بالخطر الشديد . ومعدل

الوفيات بالكوليرا نحو ٥٠ بالمئة اذا كان تحت العلاج . ويندر ان يشفى المصاب من غير علاج . وشفاءه بلا علاج يكون أعجوبة .
الكوليرا مرض خطير للجنسين وللاطفال والمتعبين ولمدمني الخمره ولضعاف الاجسام
والهسنيين .

الوقاية العامة

حالما يشتبه بظهور هذا المرض الخطر يجب الحجر الصحي على مكان الاصابة أو منطقتها
اذا تكررت فيها الشبهات الى أن يثبت الفحص البكتيريولوجي وجود الوباء ، ثم السيطرة
التامة على موارد مياه الشرب وبقاؤها طاهرة ، وعزل المريض الى مخدع محجور عليه ومنع
الاختلاط به إلا للمرض أو الممرضة المختصة المدققة في فنها . طرح المطهرات أي مضادات
الفساد على القيء والبراز على الفور وتطهير كل ما كان على المريض من ملابس وفرشه وملآته
الخ... وجميع أدوات مطبخه ومائدته . ثم مراقبة شديدة للاجتماعات العمومية وكل مكان يكتظ
بالجمهور . والأفضل منع الاجتماعات والتجمهر ولا سيما اذا توالى الحوادث في المنطقة الواحدة .
ثم اذاعة نشرات على الجمهور مشتملة على النصائح الوقائية والعلاجية والتعليمات اللازمة
لسلوك الأفراد في مدة الوباء .



نصائح للأفراد — ١ — لا تشرب الماء من الموارد العمومية التي ليست تحت المراقبة
كالترع والآفنية والمصارف والآبار والأزيار والطابعات إلا مضطراً بعد ان تعقمه بالغلي أو
تضيف عصير الليمون أو نقط من الخل الى الكأس التي تشربها . ولا تأكل الجبن والزبدة
إلا مطبوخين .

٢ — اغل اللبن قبل أكله .

٣ — انبذ الخور بتاتا . لأنها خطيرة في مدة الوباء .

٤ — لا تأكل الخضرة إلا مطبوخة . واغس الفاكهة في الماء الغالي مدة دقيقة أو

دقيقتين .

٥ - دع الماء كل المملحة والتوابل وكل فاكهة مجففة معرضة للهواء وللذباب كالبلح والمجوة الخ

٦ - احرص على النظافة لكل شيء في جسمك وملابسك وغرفتك وأدوات المائدة والطبخ

٧ - حاذر من الذباب فانه شر أعداء الانسان لانه متطوع بنقل العدوى يقع على براز المصاب وقيئه ثم على الطعام ، اقبله حيثما عثرت عليه بواسطة د . د . ت

العلاج

في وافدات الكوليرا السابقة كانت المعالجة مقصورة على عزل المصاب الى فراش المرض حالما تظهر عليه الاعراض ، ثم يوضع الى جنبه زجاجات ملاءى بالماء الساخن لكيلا تهبط حرارته كثيراً . ولا يغذى إلا بماء الشعير ومصل اللبن اذا قل القيء لما في اللبن من الحامض اللبني الذي هو عدو الجراثيم التي تعيش في القناة الهضمية

لا يعطى مسهلات بقصد تنظيف القناة حتى ولا الزئبق الحلو Calomel ولا الأفيون الذي يعطى في بعض الاجوال ضد الاسهال . ولا بأس أن يحقن بالمورفين ولنسكين الألم . ولا خطر فيه ، لم يكن للكوليرا دواء خاص ولم ينجح بها دواء . وقد استعمل مصل الكوليرا للعلاج ولكن بلا فائدة

وكان لقاح الكوليرا يعطى للوقاية والحصانة فقط . وكان بعضهم يشير بتعاطي الاتروبين صباحاً ومساءً بقدر ١-٣ من القمحة أي نحو سُدْس المليغرام وبرمنجنات البوتاس يعطى بقدرتين في حبوب تصنع من الكاولين والبارفين الجامد وتغلف بالسلول أو الكيراتين لكي تمر في المعدة الى الامعاء من غير ان تنحل في المعدة بل في الامعاء حيث هناك الجراثيم مترعرة . تعطى حبة كل ربع ساعة لمدة ساعتين الى ٤ ساعات حسب حدة الحالة . وبعد ذلك تعطى كل نصف ساعة الى أن يتغير لون البراز الى أخضر أو أصفر ويقل قدره مع ذلك لم يكن هذا العلاج ناجحاً تمام النجوع ولم يكتشف للكوليرا دواء خاص به

إلا أخيراً وهو السلفاجوينادين والسلفاديازين حين جرّبا في الهند ، اذ كانا يعطيان للدوسنتاريا فنجما نجماً تاماً اذ انخفضت الوفيات الى ١ أو ٢ بالمئة من الاصابات كما روت إحدى المجلات الانكليزية أخيراً ، ووزارة الصحة العمومية المصرية تعالج به المصابين المحجوزين في المستشفيات الآن .

في حالة الانهيار Collapse يحقن المصاب في الوريد بالمصل الطبيعي الفسيولوجي وهو ٧ بالآلاف من محلول الملح النقي . وهو يشبه مصل الدم الطبيعي . يعطى كل بضع ساعات لكي يعوض عن مصل الدم المتناقص بسبب شدة الاسهال والقيء . ويتفاوت مقدار المصل المعطى بين لتر ونصف لتر على درجة حرارة ٣٠ سنتغراد .

وكانوا سابقاً يلقون المريض بحرام أو دثار ساخن أو بوضع زجاجات ماء ساخن الى جنبه كيلا تنهار درجة حرارته . ويحقن بالعضل بينزوات الصوديوم والكافيين وبالكاكافور وبمخلصة الغدة النخامية Pituitary . وكان روجرم يفضل أن يكون المصل الملحي مركزاً وفي بعض الأحوال يضيف اليه كلورور الكالسيوم . وعلاوة على الحقن بالوريد كان يعطى المصل الطبيعي في المستقيم الى المعى الغليظ

كذا كانت المعالجة قبل هذا الزمن

والآن يضاف اليها الحقن بمصل الدم البشري Plasma علاوة على المصل الطبيعي الملحي والجلسكوز والسلفاجوادين والسلفاديازين كما تقدم القول

تبتدىء الكوليرا في البلد حادة فتنتاب جماهير اذا كانوا لا يعرفون أو يجهلون الوقاية فتفتك بالعشرات والمئات كما كان يحدث في سنة ١٩٠٢ ثم تخف حدتها تدريجاً الى أن تنقطع من نفسها كأنها زالت بأعجوبة . ولعلماء الطب تكهنات مختلفة في سر هذه الظاهرة . ويظن بعضهم ان ميكروباً مجهولاً لا يرى ولا تحفظه المصفاة Filter يعيش مع مكروب الكوليرا حالة عليه فذاك ينمو وهذا يضعف الى أن يهلك الاثنان معاً والله أعلم

للقاية من الكوليرا

تعليمات وزارة الصحة العمومية

أعراض المرض

تظهر أعراض هذا المرض في شكل إسهال وقيء شديدين ومستمرين يصحبهما تقلصات وآلام في المعدة وقد تبلغ شدة المرض درجة دخول المريض في حالة هبوط عام في ظرف بضع ساعات. وقد تكون أعراض المرض في بعض الحالات قاصرة على الإسهال ومثل هذه الحالات الخفيفة الأعراض هي الحالات الخطرة التي قد لا تلفت النظر إليها أعراضها.

وتود الوزارة أن تطمئن الجمهور إلى أن رجالها صاهرون على مراقبة الحال إلا أن جهودهم في المكافحة لن تكفل بالنجاح إلا بمساعدة الجمهور لهم وذلك بالاسراع بإبلاغ رجال الصحة عن الإصابات المشتبه فيها بمجرد ظهورها، حتى يتمكنوا من حصر الداء في موطنه قبل انتشاره واستفحال أمره، وليس ذلك فقط، بل يجب على كل من يعلم بوجود إصابة مشتبه فيها بين أقربائه أو كذلك جيرانه أو معارفه أن يبادر بالإبلاغ عنها، كما لو كانت هذه الحالة في منزله. وبهذه الوسيلة يمكن وضع حد لسير هذا المرض واثقاء شر خطره الشديد.

طرق انتشار العدوى

تنتشر العدوى بوساطة الماء أو الطعام الملوّث بإفرازات المريض التي تحمل ميكروب المرض كالبراز والقيء.

وتنتقل العدوى إما مباشرة عن طريق أيدي القائمين بخدمة المريض وبالمفروشات والأقشة والملابس التي استعملها أثناء مرضه أو بوساطة ماء الشرب أو اللبن أو المواد الغذائية التي تلوثت بإفرازات المصاب وكذا الخضراوات التي تكون غسلت في ماء ملوّث والأطباق وغيرها من أواني الطعام التي تغسل بماء ملوّث وتنتقل العدوى أيضاً إلى أصناف الطعام بوساطة الذباب.

الاحتياطات التي يجب اتباعها

يجب الامتناع عن شرب الماء من غير الموارد العمومية من مثل مياه الترع والقنوات والمصارف أو الآبار والطلعات الموجودة داخل المساكن وإن تعذر الحصول على مياه الموارد العمومية فيجب أن تغلى مياه الشرب قبل استعمالها . ويجب الامتناع عن شرب السوائل والمشروبات وتناول الثلجات التي تباع في الأسواق أو مع الباعة المتجولين . كما يجب على الألبان قبل تناولها مباشرة أما الخضروات فيجب ألا تؤكل بأي حال إلا مطبوخة كما يجب أن تغسل خضر السلطات والفواكه في ماء ساخن بدرجة الغليان لمدة دقيقة على الأقل . كما يجب أن يسخن الخبز قبل تناوله (أي تقيمه) .

ونحذر الجمهور من شراء الماء كولات بوجه عام من الباعة المتجولين أو من المحلات التي لا تراعى فيها النظافة أو لا تتوفر فيها الشروط الصحية الخاصة بحفظ هذه الماء كولات أو التي تترك الماء كولات معرضة للذباب ، إذ أن الذباب يعتبر بصفة خاصة من أخطر الوسائل لتلويث الماء كولات بميكروبات هذا المرض كما يجب دائماً أن تراعى نظافة الأماكن التي تطهى أو تجهز أو تحفظ فيها الماء كولات بالمنازل ووقايتها من الذباب . ويجب أن يراعى في القرى عدم تلوث مجاري المياه بالفضلات الآدمية أو التبول أو التبرز في مجاري المياه هذه أو على مقربة منها . ونوجه نظر الجمهور الى وجوب مراعاة أصول النظافة الشخصية في كل ما يتعلق بحياتهم اليومية وخاصة تطهير الأيدي أو غسلها جيداً بالماء والصابون قبل تناول أي طعام أو شراب ، وكذلك بعد قضاء حاجاتهم اليومية (أي التبرز والتبول) كما يجب دائماً أن تغسل أدوات الطعام كالأطباق والملاعق وغيرها بالماء في درجة الغليان

ونوجه النظر إلى أنه لما كان من المعتاد في مثل هذه الظروف أن تروج الإشاعات بين الجمهور فإن وزارة الصحة تنصح الجمهور بعدم الإصغاء إلى تلك الإشاعات وتطمئن الجمهور إلى أن وزارة الصحة ساهرة على مراقبة الحالة وأنها تتخذ من الاحتياطات السريعة دائماً ما تستدعيه الظروف

المقتطف : حفظ الله الكنانة من شر هذا الوباء

سيكولوجية النمو

وعلاقتها بالتربية

يمر الطفل بأربع مراحل يتطور فيها سلوكه من المستوى الغريزي العشوائي حتى يستقر ويخضع للعقل . ويسمى الدكتور إرنست جونز المرحلة الأولى بالطفولة المبكرة ، وتبدأ من الميلاد حتى العام الخامس ، ويسمى المرحلة الثانية بالطفولة المتأخرة ، وتنتهي في العام الثاني عشر ، أما المرحلة الثالثة ، وهي مرحلة المراهقة فتنتهي في العام الثامن عشر تقريباً ، وتلي ذلك مرحلة النضوج .

ويرى الدكتور إرنست جونز أننا نتطور دفعتين في حياتنا ، فمرحلة الطفولة الأولى تتكرر بصورة أخرى في مرحلة المراهقة ، وتختلفهما فترتا الاستقرار . وكأنما تقضي الطبيعة على ما بنته في المرحلتين الأخرتين لتبني من جديد أسس الشخصية . وفي المراهقة استعادة نسبية لمرحلة الطفولة الأولى ، وفيها يحيا الفرد حياة تشبه حياة الطفل من وجوه عدة ، ويبنى جونز آراؤه على التحليل النفسي ، ومظاهر النمو الجسمي والعقلي .

ويختلف الطفل في مراحل الأولى عن البالغ في تركيب عقله ، وتدل اختبارات الذكاء على أن قواه الذاتية تنمو بالتدريب حتى سن البلوغ . وسلوك الطفل في هذه المرحلة غريزي ، ونسعى غرائزه لإشباع ذاتها ، وبذلك يتعلم الطفل بالتدريب كيف يؤخر الزمن بين المؤثر والاستجابة . ويخضع سلوك الطفل في هذه المرحلة لقاعدة اللذة والألم ، كما يقول مكدوجل من يمس النار يحشأها فيما بعد . ثم يتصل الطفل بالمجتمع ، فيعدل سلوكه الخلقى تبعاً للنواب والعقاب ، والمدح والذم . ومن مميزات الطفولة الأولى التوكل والاعتماد على الغير جسمياً ووجدانياً ، فالطفل يريد أن يستأثر بعطف من حوله ، ثم يستقل بنفسه بالتدريب . وخيال الطفل في هذه المرحلة متسع جامع ، يكسو الجماد بالحياة ، ويخلق لنفسه عالماً ملؤه أبطالاً خياليين ، وتعرض أبطاله فيه عما يشعر به من نقص ، كما يجد فيها منفساً عما لا يستطيع أن يسيطر عليه من حقائق . وفي هذه الفترة يحب الطفل التكرار ، ويشعر بلذة نتيجة الشعور بالسيطرة ، وهي نتيجة سلبية قوية ، أو خوف واقعي ، ولكي يحدث في نفسه الاتزان يشعر بالأمن يلعب دور مبعث هذا الانقلاب . فقد يرى الطفل خافاً وينهر منه ، ثم

يتخذ من المساند المنزلية قطعاً من الفهم ، وقد يرى حيوانات مفزعة في حديقة الحيوان ، ثم يستعيد تمثيل مارآه بشغف بعد حين .

وقبل أن تظهر نتائج التحليل النفسي ظنّ الناصر ان الغريزة الجنسية لا تظهر في الطفولة الاولى ، ثم أظهر التحليل النفسي أن حياة الطفل الجنسية غنية متنوعة في نواحيها الجسمية والعقلية ، وإنما هي ضمنية كامنة لا تتجلى وتحتل الناحية العقلية إلا في سنّ الزواج . والطفولة مرحلة حب الطفل لذاته ، ولذته فيها مادية حسنة ، وفيه تتركز معظم خبراته ، وتثقل عاطفة حبه لذاته فتتمدد منه الى أمه ، دون أن يكون غيراً كاملاً ، فالأم مصدر غذائه وراحته . وكثيراً ما يحدث توقف في حياة إنسان عند هذه المرحلة فيظل المرء معلقاً بأمه . على أن التطور الطبيعي يحل من الأبوين نواة لعواطف الطفل ، ويرى فرويد أن عاطفة الطفل لأمه عاطفة حب ، بينما هي كراهية نحو أبيه ، ويسمى ذلك بعقدة أوديب ، وإنما تظل هذه العقدة مكبوتة لمتناقضاتها مع المعايير الخلقية الاجتماعية ، وتظهر اذا ظهرت قسوة الأب . أما الطفلة فتحب أباًها وتكره أمها ، ويطلق فرويد على تلك العقدة عقدة الكترا . على أنه بالرغم من ذلك قد تكون الصلة بين الأب وابنه والام وابنتها قوية ، ولا يوضح فرويد علة كراهية الابنة لأمها .

وتظهر معالم الطفولة الأولى في حركات الطفل العشوائية ، وهي حركات لازمة لتصله بالعالم الخارجي ، فتتكوّن لديه مبادئ الخبرة ، وفي عامه الثاني تعتمد عملياته الحيوية من قبول وترز وغذاء على حواسه ، والفهم أهم مراكز خبراته ، يليه البصر فالسمع والشم ، ومن طريق هذه الحواس تتصل الخبرات وتندمج ، وتنمو حياة الطفل العقلية بنموها . ويرى فرويد أن الفهم مصدر لذّة حسنة ومركز انفعالات حتى الشهر السادس ، وهو مصدر الشعور بالقوة والقبض على الأشياء حتى العام الثاني . ويمر الطفل في العامين الأولين بمراحل انتقال قد تحدث بها أزمات ، كالقطام . ولذا يجب أن يكون تدريجياً لا فجائياً . أما القدرة على السير ، فتنبه الطفل شعوراً بالقوة ، وتساعد على كسب المهارة ، وتمنحه لذّة التكرار ، وتمكنه من فهم العالم والسيطرة عليه والشعور بالأمن فيه . أما القدرة على الكلام فتتدرّج من الصراخ والضحك والمنافاة العشوائية الى الاتصال الاجتماعي ، ويشعر الطفل بقدره باستقلاله ، وتتكوّن فكرته عن نفسه ، أساسها اسمه ، وجسمه وقدرته على المقاومة فهو كائن حي يشعر بذاته ، انتقل من دور السلبية الى الإيجابية الاجتماعية .

أما بين العام الثاني والخامس ، فتكثر أسئلة الطفل عن العالم المادي والاجتماعي وعن خبراته الحسية ، ويميل الى اللعب والتكرار ، إذ يريد الشعور بالأمن في بيئته . ويهتم الطفل

بمعرفة مصدر الأطفال ، وهو لا يطلب المعرفة والمهارة لذاتهما ، وإنما كوسائل للتعامل الاجتماعي ، وفهم العلاقات بالتقليد أو المساعدة التحدي أو الاغتصاب . ويميل الطفل في هذه الفترة للهدم والتركيب ، فلهدم مربع النتيجة ، سهل المأخذ ، ولذا يفضل على البناء . ويبدل الطفل جهداً ليركز انتباهه ويزيد انتاجه في اللعب وتديق حركاته بالتدريج . ومن الضروري لتكوين ذاتية الطفل ما يظهر من غضب وصياح وغيرة وخوف واغتصاب وندم نتيجة تدخل السلطة الاجتماعية إذ تتكون فكرته عن ذاته تبعاً لها . ويستقبل الطفل أحكام السلطة أولاً ثم يطبقها على غيره - وبين ذلك ينمو الضمير ، ويخشى الطفل في هذه المرحلة الموت الظلام وكل ما هو غامض مبهم .

وينمو الطفل بين الخامسة والثامنة نمواً حركياً ولغوياً واجتماعياً ، وتزيد خبرته ومهارته عن طريق اللعب والتجريب ، وتقوى ارادته وقدرته على الانتباه ، ويسير عمره العقلي عمره الزمني تقريباً . وينتقل الطفل من الفردية إلى الجمعية ، دون أن يكون شعوراً اجتماعياً فاضحاً ، وإنما هو فرد في قطع ، يحتاج للقطيع ليشتبع حاجات نفسه . وينسب الحياة للظواهر الطبيعية كما تفعل الشعوب البدائية ، بغض النظر عن الذكاء والتعليم . وتبدأ بعض صفاته الاجتماعية من تعاون وحكم وحنان في الظهور ، ويميز بين ذاته وبين العالم الخارجي ، وفي نهاية هذه المرحلة ينتقل إلى الحقيقة والواقع ، حتى إذا ما جاوز الثامنة من عمره ازداد تعامله الاجتماعي ، وانتقل من الذاتية إلى الموضوعية ، ونحدر من التواكل ، وبدء يندمج في مجتمع ، وأخذ تفكيره في القوة والتحسين .

أما في مرحلة الطفولة المتأخرة أي ما بين الثامنة والثانية عشر ، فيستقر نمو الطفل الجسمي والعقلي . فالنمو الجسمي والعقلي للطفل كالموجة ، وكأنما تتبادل الطبيعة التقدم والاستقرار فيزداد نمو الطفل في طامه الثالث ، ثم يستقر حتى السادس أو السابع . وهذا الاستقرار من مميزات الطفولة المتأخرة . فالطفل مستقر هادئ يعرف كيف يسلك في هذه الفترة .

ويعمل ستانلي هول هذا الاستقرار والاستمرار في النمو تبعاً لنظريته التلخيصية فيرى أن الطفولة استعداداً لمرحلة من الحياة كان عمر الناص فيها قصيراً فاتوا قبل النضوج . ويتكيف الطفل في هذه المرحلة تبعاً لمطالب الموقف ، ويفقد هذه القدرة في المراهقة ويستعيد لها بعدها .

وتنقسم الطفولة المتأخرة باكتمال نمو الغريزة الاجتماعية . فالطفل في سنواته الأولى لا يحب الكبار إلا كوسائل لا شباع حاجاته ومطالبه ، ويكره الوحدة لحاجته إلى غيره .

أما في هذه الفترة ، فيبدأ الطفل حياة الجماعة ، وتصير الجماعة وسيلة للتنفيس عن غريزة السيطرة ، وهو عضو في الهيئة ، ويسام في مشروعاتها وألعابها . ويجب ألا تحزن الأم إذا ما انصرف الغلام عن المنزل فلا يراه إلا مكاناً للطعام والنوم ، وذلك طريق الطبيعة إلى المراهقة . على أن الغريزة الاجتماعية لم تظهر في أرقى صور السلوك الاجتماعي فهو لم يعلم بعد معنى الايثار ، وإنما تظهر غرائز السيطرة والخضوع حين يقود ويقاد ويخضع سلوكه في هذه الآونة للثواب والعقاب الاجتماعي ، وفي هذه المرحلة بداية العادات الاجتماعية من أخلاق ودين ، ويشعر الطفل بدينه للعصاة ووجوب طاعة قائدها ، والخضوع لرأيها العام . وكثيراً ما يكذب الطفل في المدرسة طاعة للعصاة ، وإنما علينا أن نحول نشاط العصاة لخدمة المجتمع الأكبر ، وفي جماعات الكشف والنوادي خير حل لعلاج مشكلات هذه المرحلة بما فيها من مبادئ سامية وجماعات راقية .

وتتميز الطفولة المتأخرة بالاهتمام بالخارج ، وبحقائق العلم ، فبهتم الطفل في العاشرة بالأمور الخارجية أكثر مما بهتم بحياته النفسية الداخلية . ويهوى الألعاب الخارجية وحياة المعسكرات ، ويهتم بالعمل وفي سبيله يحصل على العلم . وهذه المرحلة مرحلة استقرار جسمي ويقل فيها المرض والوقاة ، وحدة الانفعال وسرعته ، ويزداد الفائض من النشاط ، ويدق السلوك وتظهر المهارة ، وتظهر العصاة ذات الزعيم واللغة المبرية والمفاخرة والمباهاة ، وما زال سلوك الغلام في هذه الآونة خاضعاً لبقايا السلطة ، ويحترم القاعدة لأنها بنت السلطة ، ثم يتغير تقديمه للسلطة إذا ما اصطدمت بالولاء للعصاة ، ويحتقر الطفل الضعف الجسمي والعقلي في هذه المرحلة ، ويحب القوة والحزم . وينتقل من حب للظهور إلى حب للاستطلاع ، ويبدأ في تعليمه العقلي والجسمي بالقاعدة العامة ، ثم يسير نحو التفاصيل الجزئية ، ويميل إلى الجمع والامتلاك ، كقاعدة للاهتمام العلمي كما حدث لداروين ، ثم يحترم حقوق غيره ليأمن على حقوقه ، فيعلم واجباته . ويحيد الطفل إشباعاً لميوله المخاطرة في العصاة ، وفيها يدرّب نفسه على الثقة بنفسه ، وينمو عقله فيفرق بين الخيال والواقع ، ويرتقي من التأثر بالثواب والعقاب إلى المدح والذم ، ويميل إلى نقد السلطة حتى ينور عليها ، وميوله في هذه المرحلة عملية ، والميول العامة وسيلة لها وهو يحب الحركة والكشف والجمع والاستفهام عما يراه من حيوان وإنسان ، ويهوى العمل اليدوي المحسوس ، والرسم والموسيقى ، ويحب الحركة والمخاطرة .

أما المراهقة فهي شبه استعادة للطفولة الأولى ، يفقد المراهق فيها استقراره وثباته ، ويحيد نفسه في عالم غريب ، فقدت عاداته القديمة فيه قيمها ومعانيها جسمياً وعقلياً .

فالمراهق خشن المسلك عنيد كثير الالفعال، يعتقد انه مضطهد من الجماعة ومحط نقدها. ويعيش بين ثورة جامحة وحزن شديد، على أن خياله يتسع، ولكنه ينطوي على نفسه وعقله الباطن. ومن أهم مميزات هذه المرحلة النمو الجنسي الذي يستيقظ ويتجه نحو الغرباء بعد ان كان يدور حول والديه فيما يرى جونا. والغريزة الجنسية لدى المراهق حقيقة حية. ولذا لزم علاج هذه المرحلة حتى يجتاز المراهق أزماتها بسلام. ويرى البعض في الكشفة علاجاً للانطواء، وفي الرياضة البدنية ميسداً لتوجيه نشاطه، وربما كان في الفنون الابتدائية اعلاء وتوجيه لما كلة الجنسية، على ان التربية الجنسية الصحيحة الصريحة لازمة لازالة ما يحيط بها من خجل وتكتم، حتى لا يشعر المراهق بشذوذ أو مرض، مصحوبة بالمعطف وحسن التفاهم بين الراشد والمراهق.

ويستقل المراهق بنفسه في هذه المرحلة، ويبدأ أبطاله في التاريخ والأدب والحياة، وربما كان ذلك امتداداً لاعتماده على أبويه. وتصادف تعاليم الدين هوى في نفس المراهق حين يبحث عن مثل عليا يحتل مكان والديه. وفي الدين مخرج للتوتر الجنسي الذي يشعر به ويسكن آلامه ويخفف من وطأة صراع جسمه مع نفسه. على أن الإيمان والشك يجتذبانها إذا ما فشل الدين في حل مشاكله الخلقية، واصطدم بالعلم الذي يتعلمه، وربما وجد في الفلسفة مخرجاً فيميل نحو الهيكلية الوثنية ذات الاتزان والاعتدال، وربما تهرب للبحث عن الحقيقة في العلم والجمال في الفن. اما السلوك الخلقى للمراهق فهو مضطرب بصورة عامة، نتيجة للتوراة الجنسية الكامنة حيناً، والثائرة أحياناً. وينتهي إلى ضبط نفسه حين يكون مثله العليا وعواطفه من أبطاله المحبوبة، فيسير إلى مرحلة الاستقرار، حين يخضع سلوكه للمثل الأعلى، لا لجرد الثواب والعقاب الاجتماعي. وقد وضع هذه المثل العليا قلة من الناس كثيراً ما خرجوا على المثل المتوارثة ولم يعبأوا بالنتائج الاجتماعية، بل فرضوا مثلاً علياً أنارت سبلاً جديدة.



ويؤدي النمو الجسمي للمراهق الى نمو أعضائه دون اتزان، فينمو عضو أكثر من الآخر كالشعر، ويزداد نشاط الغدد التيموسية والعنوبرية والتناسلية، ويصحب التغير الجسمي تغير نفسي يصحبه صراع أو كسل، ويصحب هذا النمو قلق، فتفزع الفتاة حين تكبر قدمها ويدها، ويتصنع الفتى الرقة، ويصحب الاضطراب الداخلي اضطراب جنسي من ظواهره عادة الاستمناء عند الأولاد والعادة الشهرية عند البنات. والعادة السرية معها يكن أمرها وسيلة الى الخلاص من توتر، على أن أكبر أضرارها ما يصحبها من صراع نفسي

بين مزاولتها والامساك عنها ، وهي وصيلة شاذة غير طبيعية يشجع بها حاجة نفسه ، وربما كان في تهيئة جو الاتصال الخارجي الى أكبر حد ممكن علاج لها .

وتشند رغبة المراهق في الاستقلال بنفسه ، فيتقدم خطوة اجتماعية ، وتتخذ هذه النزعة صورة ثورة على المنزل والمدرسة وما يمثل السلطة القديمة ، ويبحث عن أبطاله في أماكن أخرى ، كالكتب أو في الواقع ويبحث عن يلقى بأعبائه العاطفية عليه ، فكثيراً ما تتعلق فتاة بمدرستها أو بفتاة أخرى وترسل إليها خطابات غرامية . والبطل عنصر مهم للمراهق ، وإذا ما قدمت له نماذج مثالية مرغوب فيها ، تحرر من الأفراد والأشخاص ، وانتهى إلى حب الصفات ذاتها . ويشهد ولاء المراهق للاجتماع ، ومن مظاهر ذلك الكذب الوفاي . ويبلغ ذكوره الذروة في هذه المرحلة ، من ناحية الطاقة لامن ناحية التجهيل . ويخضع خياله ويصعبه إغراق في أحلام اليقظة والتفكير الآني

وينبغي أن تعلى كل تلك النوازع لتعبر عن نفسها تعبيراً مرغوباً فيه ، كالرسم والشعر والموسيقى ، فيصحب الجمال وينتج فيه ، ويحب الفلاسفة والبحث العلمي وحقائق الكون ، مع تدريب قدرته على النقد . وفي هذه المرحلة يتكوّن الشاعر والفيلسوف والعالم ، كما أن فيها يتكوّن الشاذ والجاهل والمجرم ، ومن فشل في التكيف الاجتماعي ولم يلق عناية وعلاجاً صحيحاً .

وتنتهي هذه المرحلة باكمال النمو والرشد لتستمر الى نهاية الحياة ، فينظر الراشد الى العلم والحياة والناس والأشياء ، ويرى الحقائق لا الخيال ، فالراشد رجل الدنيا ، يفضز بعلمه وعمله .



وتساير مراحل النمو النظم التربوية المثلى ، فتناصب الطفولة الأولى حتى الخامسة مدارس الحضانه ، والطفولة المتأخرة حتى الثامنة رياض الأطفال ، والمدارس الابتدائية حتى الثانية عشرة ، والمراهقة المدارس الثانوية حتى الثامنة عشرة ، والرشد الجامعة تقريباً فالى أي حدّ تقابل كل الحاجات النفسية لنزيلها في مدارسنا المصرية ؟ ذلك يحتاج الى المزيد من القول نعرض له في المقال التالي ان شاء الله .

الإنسان

هذا اللغز الأعظم !

يولد الإنسان والمعرفة غريزة مختلطة بدمه ، فتتمو معه وتشكل وفق صوره وبيئته ومستواه ، بها ينشئ ويعمر ، وعلى هداها تنعقد حياته . فكلما درج به الزمن درجت هي الأخرى تضع مقومات حياته . وتسبب نوااميس الآداب والفلسفات والحركات الفكرية التي يسير عليها في جهاده . فهي من التقدم الجوهر الاصيل الذي يغيره لاختلاط العدم بالوجود وتعاقت الدهور تعاقتاً آلياً لا تمايز خصائصها ولا تتمين حدودها .

يخرج الطفل الى الحياة وبه ظمأ الى التعرف على كل شيء ، فتتعاد عليه المراحل الزمنية وهو بينها ذات هامة تنظر الى نفسها وتنظر الى غيرها ، تتعرف على كل ذلك تارة بالعاطفة وتارة بالغريزة ، وتارة بالعقل ، فتصطدم بالمظاهر الخارجية وتنتابها حتى الأزمان ، قد تجتازها وهي بصيرة وقد تكبو عندها كبو الأعمى الضرب ، وهي إن اجتازت أو آبت تستفيد من التجارب استفادة كبرى ، وتتحفز للمراحل القادمة تحفز المتطلع المشغوف . فمن المعرفة ، إذن ، طلع الأمل ، ومن الأمل صنع الوجود ، ومنه تواتبت الأحداث فلم تدر ما الوجود وما الوقوف في يوم من الأيام . فليس في الفطرة الأولى يأس ، لأن الذنات في هذه المرحلة جسورة غير هييابة ، راغبة غير مترجمة ، مقدامة غير جبانة ، لا تعرف ما الخور لأن التطلع هو الوقود الذي شجنت به لتتعرف على نفسها وعلى الوجود المحيط بها .

ومن هذه الغريزة ، غريزة المعرفة ، صارت الدنيا كما راها ، وتركبت حيلتنا كما نعيشها ونلذذها ، وبفعلها سار الموكب البشري في سلسلة متصلة الحلقات كل لاحقة أرقى وأعقد من سابقتها ، وكل حاضر هو ثمرة الغرس الذي زرع في ماضي اللحظات .

ولولا هذه الغريزة لما نشأت العقول لوضع الفلاسفات المتباينة لتفسير الإنسان وتفسير

الطبيعة، ولما زخر التاريخ بالمدارس الفكرية التي عجب بها التاريخ البشري منذ أن دهاه الأفراد إلى أن بلغ مرحلته الراهنة التي يستعد فيها لوثبات هي أشبه بالمعجزات .
فلا إنسان مدني بالطبع ، كما يقول أرسطو ، وكذلك هو نزاع إلى المعرفة بالفطرة أيضاً ، وهو يريد الاجتماع بغيره حبساً في المعرفة قبل أن يجتمع حبساً بالاجتماع .

والإنسان الأول نظر حوله فاذا يرا كين نائرة تقذف اللحم ، وأطعير مهولة تحتاج كل شيء ، وأمطار ثقيلة تغرق الزرع والضرع ، وبحار صاخبة تتلاطم أمواجها ويرتفع وينخفض عباؤها ، كل هذا رآه فاستهوله ، ووضع أصبعه في فيه وراح يفكر ويتأمل : ما هذه اللحم ؟ وما هذه الأعاصير ؟ من يقذف تلك ومن ينير هذه ؟ هل هو إنسان مثله ؟ إذن فليجرب ، ولكن ها هو يفعل فلا يستطيع ، ويحاول فلا يقدر . إذن هي قدرة أقوى من قدرته : فما هي ؟ فليختبر لهؤلاء الجبابرة أسماء ، وليسمي لكل ظاهرة إله ، فهذا إله النار ، وهذا إله الماء ، وهذا إله الريح ، وهذا إله القدر ... الخ . وارتاح إلى هذا التفسير واطمأن إلى ما وصل إليه تفكيره البدائي .

ثم تقدم أكثر وأكثر واجتمع بغيره وتعمّدت علاقته — نظر إلى الجمال فراه ، وشعر بالحب فاستساغ مذاقه ، وشرب الخمر فانتشى برحيقها . وفطن إلى أن يسمى أيضاً آلهة قدل على كل هذا ..

وظل يرتقي ويرتقي فما عقله وامتد تفكيره وعمق احساسه فهتف به هائف من سوء هذا الوجود ؟ من أي مادة صنع ؟ على أي نظام يدار ؟ كيف يتدرج ؟ وعند هذا عرف الفلسفة ، وطفق يضع لها المعايير والموازن ، وعرفت الحياة أول فلاسفة يذكروهم الفكر الإنساني وهم فلاسفة « يونيا » فكانت فلسفتهم بدائية بالنسبة إلى بيئتهم ، لأنها لم تكن إلا صورة مبغرة من « الميثولوجيا » التي فسر بها الأفراد الوجود في أول عهدهم . فهذا يقول أن مادة الوجود النار ، وذاك يقول التراب ، وآخر يقول الماء ، والرابع يجمع كل ذلك فيقول الوجود مزيج من نار وتراب وماء .

وأخذت الفلسفة تعمق كلما تطوّر الانسان ونما ، وراحت لا تنظر فقط الى مظاهر الطبيعة ، بل ردتّ البصر الى الانسان نفسه تتفحص عقله وقلبه وغرائزه والبواعث التي توجهه . وابتدأ أفلاطون يبني نظرية « المثل » على أساس ساذج واهل فنل نهاية عهد من التفكير أدن بالأقول ليعقبه عهد جديد مثله ارسطو بفلسفته الكبرى التي كانت أعظم بناء فلسفي عرفته الفلسفة القديمة . فوضع معايير المنطق ، وأقام البحث على أسس علمية ، ولم يقصر بحته على الطبيعة وظواهرها ، بل أخذ يختبر العقل الانساني ويمتحن النفس البشرية .

وابتدأت الفلسفة تتدهور من بعد ارسطو ، وراح الفكر الانساني يعاني آثار الاجهاد ، فهذا التنفس في أصناف من المذاهب المنحلة التي جاءت بعد ذلك كالابيقورية والسككية . ثم فرغت الطبول تؤذن بمجيء النبوءات ، وحلت عصور التفكير الديني التي وضعت فيها أسس الوحدةانية ، ودخل الناس أفواجاً أفواجا في الدين ، فتفياًوا هناك ظلال الايمان السليم ، يعتقدون بواحد قهّار ، ولا يسألون عن ماهية هذا الواحد الذي ليس فوقه أحد . ولكن أمن الممكن أن يستريح الانسان ؟ أمن المعقول أن يؤمن بالعجز ؟ لا . فقد باتت فيه غريزة الاستطلاع ، وراح يفلسف الأفكار الدينية ويبني من جديد المذاهب على أسس عقلية منطقية . وأحسّ الدين أن القوائم التي تحمله تهتز ، وأن دعائمه تتقلقل ، ولكن رجاله كانوا في سبات ، فلم يحاولوا أن يبنيوا الايمان على أسس غير العاطفة ، وأن يجاروا الزمن .



وقامت الفرق الاسلامية في الشرق ، والدولة العربية في أوجها ، تجدد الدين وتدعمه فلسفة جدلية قوية ، حمل لواءها الغزالي متقدماً الصفوف في فتوته الاولى ، يهدم ما تواضع عليه القوم من خرافات وخزعبلات لينشأ فلسفة دينية عقلية كبرى . إلا أن موجات العقائد الزائفة التي وفدت من بلاد فارس ، مع الأسف ، حوّلت هذه الاتجاهات الفلسفية الرشيدة في العالم الاسلامي عن الطريق الذي كانت تسعى فيه لتدله على طرق جديدة تبلبلت فيها العقول ، وإنّ التراجع الذي بدا على الغزالي أظهر ما يعجز هذا التبلبل ، فقد انقلب على نفسه

فبعد أن كان يزيف الخرافات صار يحملها على كتفه ليبيعها للناس .
 وأمّا في الغرب ، فنحن الآن في القرون الوسطى : الظلام دامس ، والجهل سائد ،
 والعقل خامد . أينما أدار الفرد بصره لم يجد إلاّ قسماً يسيرون التاريخ وبابوات يقودون
 الأمم ، وكنائس تحكم أوروبا ، فعيناً يفتش الإنسان عن النور الذي يفضح الدجل ، وعن
 المصباح الذي يرشد إلى السبيل السوي في هذا الليل الحندس . فالشمس قد اختبعت قوماً
 دون قوم ، والعلم قد ابتذل على أيدي تنطيه للسيطرة لا للنفع وتلج في توزيعه بالقطرات كي
 لا يفيض سيلاً يكتسح قلاع المتبشرين من السادة والأمراء ، ويذيب هذه القيود التي توهن
 قوى التفكير بإسم العادات ، وبإسم التقاليد وبإسم الدين ، ولم يكن الدين إلاّ ستاراً يخفي
 خلفه خزي فضائح رجاله ، وما العادات إلاّ حجباً تفصل بين العبيد الذين يأكلون التراب
 ويلبسون العري ، وبين السادة في الطرف الآخر يأكلون بملاعق من الفضة ، وينتشون بكؤوس
 مرصعة .

وجاءت الثورة فكانت عنيفة على التقاليد وعلى الدين وعلى الطبقات ، فخاربت كل ذلك
 بالنور الذي سلطته على العقول التي غلفها الاتباع ، وجفف ماءها الخنوع . وانتهب القوم
 كل ما في الكنائس من أكراس مكدسة من كتب العلم والأدب التي طواها رجال الدين
 كي لا يستفيد منها عقل ، ولا تأخذ عنها جماعة ، والتمهم الجوع الثقافي كل ما فيها ، وتطلع الناس
 إلى أشياء جديدة تتوافق والنظم القائمة على الأطلال الدارسة من عقائد الجهال والحتالين
 وعلى المؤسسات العتيقة التي أخصب فيها الدود وتساقط منها القدم . ثم كان اختراع الطباعة
 بالضربة الكبرى التي سددت للنظم البائدة المنحلة المشبعة بالتهتك ، فتهدت القلاع الشائخة
 وتشرد الأمراء ونهض الفرد العادي يصيح بقوة : أنا التاريخ . فشاعت نظم الحرية ،
 وأقيمت دطام الحياة على أحسن تتلائم مع التفكير الجديد ، وحلّ صراع من نوع جديد ،
 صراع بين التفاسير الفلسفية والنظم الاخلاقية والعقائد السياسية ، وصارت للفلسفة
 « أدوار » كما للأزياء أدوار ، وللأخلاق قيم تنزيه مع الموائم ، وأما العقائد السياسية

فلم تشهد عهود استقرار أبداً ، ففي كل يوم تهزها هزّة ، وفي كل ساعة تقيمها وتقعدها ثورة . وكل هذا متوقع وطبيعي ، لأنّ عهد الطوائف المسيطرة قد ولىّ فجاء دور الفرد ، والحياة التي تسلم مقاليدها للفرد وجب أن تقبل آراء متعدّدة بقدر الأفراد . وهكذا تداخلت الأشياء ، وخضعت الحياة الانسانية لوحدة عامة ، فالأخلاق والاقتصاد والسياسة والفلسفة يفعل كل في الآخر فعلاً إيجابياً صليماً في آن واحد ، واندرجت وانمحت تلك الحدود المزعومة التي تفصل بين ما يلبسه الفرد من أصناف الأحذية والقممات ، وبين ما يرتأيه من نظم السياسة ومواصفات الأخلاق .

وامتلاً الجو بضجيج الفلسفات المتعاركة ، وبحركة العلوم التي ازدحمت بها الحياة ، هذا يفسر الوجود بالعاطفة ، وذاك يفسره بالفراسة ، وآخر ينكره وما يراه إلاّ نهاية وبداية تضيق بينهما الغاية ، وذاك يؤمن إيمان العاجز ، وهذا يؤمن إيمان المهولين الصاخين ، وآخر هناك يلحد ويسرف في إلحاده حتى يكاد يقيم من أفكاره أوثان جديدة يتعبد لها من دون الله . وكان كل هذا يتمخض عن أساس جديد للحياة ، بل لم تكن إلاّ آلام المخاض التي يعانيتها الوجود .

ثمّ أشرقت الشمس على هذه الأطلال ، وطلع على الدنيا ديكارت بمناهجه في تطبيق أساليب العقل وطرائقه في البحث على كل شيء — حتى الله . وراح يهدم ويبني ، وأنشأ فلسفة ارتفعت أبراجها حتى أمسكت بالسحب ، ونزلت قواعدها حتى رسخت في الأعماق . وظلت فلسفة ديكارت تنمو وتنمو ، وتبعثها فلسفات مرت على نفس النهج تطبق أسلوب الجدل العقلي على كل فرع من فروع المعرفة .

وتزعم العقل كل مذاهب الوجود الى أن جاءت العصور الحديثة بعد صخب واختراعات القرن التاسع عشر ، فإذا باسمه في مطلع القرن العشرين تنزعزق وبقوائمه ترتج بعد أن جحد الانسان فلم يساير عقله في قفواته ، كان يخترع وينشئ ويبني في الحيز الذي كانت دراسته لنفسه وأساليبه ونظمه في الحياة كما هي . سخر الطبيعة ولم يسخر العلم لدراسة نفسه .

دراسة علمية صادقة ، فكانت كل جهود منسوبة الى الخارج ، ولم يوجه شيئاً منها الى الداخل .

وكان هذا الوضع ملائماً كل الملائمة لتفسير للانسان جديد ، ولمذهب في الوجود يماشي المطالب المستجدة ، ويملاً الفراغ الموجود . نعم كان هذا الوقت أنسب الاوقات لقيام « سيجمند فرويد » ببشر بتطبيقاته في علم النفس وتحليلاته في ميادين « البيولوجيا » . وكان الزمن أصح الأزمان لأن يبشر هذا العلامة بمذهبه بأن « الغريزة الجنسية » هي مفتاح السلوك البشري ، هذا المذهب الذي كان ثورة على كل ما قواضع عليه الناس من عرف وآداب ، ونهض الجامدون يحاربونه بأسم التقاليد والعادات والدين ، كما حارب العقل يوماً بها . وما كان فرويد صادقاً في كل تفاسيره ولم يكن صاحب مذهب بلغ الكمال ، ولا نصف المرحلة الى الكمال ، ولكنه صدق في تفسير جوانب كثيرة من السلوك البشري بطريقته العلمية التجريبية . إلا أن المتعصبين لم يفهم ذلك ، وأخذوا يسفهن كل محاولة يقوم بها أي عالم من علماء الاجتماع لتطبيق نتائج بحوث فرويد على الظواهر الاجتماعية . فاذا ما أثبت العالم النفساني الكبير « فرانز الكسندر » ^(١) بأن أكثر المجرمين الذين أجرى تجاربه عليهم ثبت أن عقدة أوديب قد تمكنت فيهم تمكنًا غنياً فراحوا ينفسون عن عواطف الكره التي رعبت فيهم بالاعتداء على المجتمع ، ثار عليه الرجعيون مع أن هذا العالم وصل في تجاربه الى أن أكثر من ٧٠٪ من المجرمين يحملون بارتكاب الفحشاء مع أمهاتهم . . .

ولقد حقق الانسان اليوم ارادته ، ففشلت الدواوى الزائفة ، وطفى العلم على الحياة ، ومهما قيل في هذه الفوضى فانها فوضى تمخضت عن عالم لا تضله الجهالات ولا العمايات .

فؤاد طرزي

بغداد

(١) في مؤلفه المجرم وقضاته

المدنيات القديمة

نشأ العمران في الشرق أولاً بين الفرات والدجلة حيثما ظهرت مدنية الكلدانيين فأخذ البشر عنهم مبادئ الشرائع والعلوم الرياضية والهندسية والفلكية . وعلى شاطئ نهر الكابج استوطنت الحكمة الهندية البرهمنية والتعاليم الحرّة البوذية . إن المدنية الهندية ثقفت الفكر وظهرت بها قوة الروح ، لكنها مالت الى الخيال أكثر من ميلها الى التعقل . وعلى ضفتي النيل أبنعت المدنية المصرية فقارفت الكلدانية بالقدم والنجاح ، وفاقت غيرها بالتدين . وفي شواطئ سوريا ازدهرت المدنية الفينيقية فاستنبطت الأرقام والحروف حفظت بذلك أساطير الحكمة ومهّلت مداولتها بين البشر ، أما بفلسطين فاشترعت شريعة العدل والحق فأخذ العالم عنها أممي مبدأ ديني أي عقيدة الوحدانية بالذات . إن مدنيات على اختلاف نزعاتها مالت إلى المبدء الديني أكثر من ميلها الى الفكرة الفلسفية ، الأمر الذي قيّد الفكر البشري بروابط التقليد فلم تتقدم المعارف بينهم تقدمها في بلاد اليونان ووطن الحرية والحكمة أخذ اليونانيون مبادئ مدنيّتهم من تلك الأمم الشرقية القديمة إلا أنهم لم يكتفوا بما حوت من معارف أوليّة بل هذبوها وزادوا عليها بما أضافوه من العلوم والمكتشفات التي أهمها تحرير العقل البشري من التقليد بفصلهم المعارف عن التعاليم الدينية ورفع سيطرة رجال الدين ، فوضعوا بعلمهم هذا العلوم الفلسفية على أصول حقيقية قائمة على البحث والاختبار النظري فأبنت وأتت بأشهى ثمار العقل والحكمة . لقد اقتبس العالم عنهم وسار على أثرهم معتمداً بذلك على فلسفتهم الراقية مستنيراً بأنوار حكمتهم الزاهرة . لكن الفلسفة اليونانية لم تتمكن من كبس جماح النفس لاستئناسها إلى الأشياء المادية ومرافعاتها الأمور النفعية . وبما أن مدنيّتهم قامت على مبادئها تأخر شأنها حتى كاد أن يقضى عليها بتطرق عوامل الفساد ، فساد الأخلاق والمبادئ التي أثلقتها رغبات أهل الرئاسة والساسة وأهواء الشعب وفسادة الأدباء والخطباء وأطباع رجال الدين ، فأنحلت أنظمة اليونان الاجتماعية لأنهم لم يوفقوا إلى وضع تعاليم ترفع النفوس إلى مبدأ أممي من المقاصد النفعية أي إلى طلب السكّال . لذلك بقيت النفوس عطاشاً لنعيم ما وحى ينشدها ويردّ ظمأها ويخفف أحزانها . لقد انتظرت الروح المعزّي عطية الحق لنوال النعمة السماوية لاحتمال المصائب ومتاعب الحياة الكثيرة بالصبر والتضحية على أمل المكافئة في عالم ثانٍ روحاني

تساوى فيه الكافة (العموم) إذ لا راحة على الأرض ولا مساواة بين البشر لأن الطبيعة البشرية تميل إلى التمتع بما هو مادي والنفس تتطلب ما هو روحي وقوى الطبيعة صارمة لا ترحم الضعيف والقوي يستبد بالآخر فتتلفه مطامعه.

إن الله خص كل واحد من البشر بعطايا متنوعة ومواهب مختلفة ضرورية لارتقاء نوع الانسان فكما أن الرأس يدبر حركة كافة الأعضاء ويسيطر عليها لما به نفعها، كذلك البدن العاملة تقدم له ما يحتاج إليه من الغذاء وإن باشتراكها هذا سلامة الجسد كما وإن بالتوفيق بين مطالب النفس والجسم راحة الحياة بالاعتماد على قوة الروح. وبما أن المدنية اليونانية لم تملك بهذه المبادئ طراً عليها الانحلال فانطرد عقد مجتمعها وتفرقت كلمتهم فلم يوفقوا لتأسيس مملكة تؤيد عنصرهم وتحافظ على مدنياتهم وحينما تسلط عليهم الرومان أخذوا عنهم مبادئ العمران ونسجوا على منوال مدنياتهم إلا أنهم اعتمدوا على القوة تأييداً لغلطتهم المطلقة وحفظاً لفتوحاتهم الواسعة فلم يلتفتوا إلى الفلسفة والفنون الجميلة ولم يستوفوها حقها من الاهتمام ولم يتعلقوا بحب الجمال تعلقهم بحجة السياسة. لقد اكتسحوا البلاد واقتحموا الأهوال وعاشوا عيشة الأبطال طلباً للسيادة والنوال، لذلك لم تنتج قرايحهم ثمار الحكمة ولم ترتق المعارف البشرية بينهم.

اشتغلوا بالفلسفة اليونانية معتمدين عليها في تعاليمهم وشرائعهم، لكنهم لم يوفقوا إلى إنشاء مدارس فلسفية جديدة. لا بل انحط شأن الفلسفة عندهم لأنهم لم يفهموها حق فهمها وإن توفقوا بمبدأ القوة والعدالة إلى ضخامة السلطان وحفظه لكنهم خضعوا لسيطرة اليونان الأدبية وإن كان هؤلاء من المغلوبين على أمرهم.

لقد اعترى المدنية الرومانية ما حل بوالدتها اليونانية من الادواء (الآراء) لأن القوة لا تكفي وحدها لحفظ كيان الأمة بل سقطت ولم تجد الانظمة للدفاع عن السلطة شيئاً بل انحلت الامبراطورية الرومانية وخضعت للأمم البربرية وهذه الأمم قد تهذبت بمبادئ الديانة المسيحية فترقت وصارت أهلاً لاقتباس الحضارة اليونانية. تنقفوا بالفلسفة وكانت مشرق أفكارهم تتناول إليها الهمم وتنتهي عند معرفتها الأفكار، وقد صرفوا الأجيال الطوال في دروسها والنسج على منوالها وعلقوا عليها الشروح الضافية حتى كان يكفي أن يقال « قال أفلاطون أو أريستو لإثبات الحجة وإخام الخصم وبقيت الحالة كذلك والفكر مبتلى بالعقم إلى أن صار الانقلاب الأخير في زمن النهضة الحديثة التي جاءت بطرق جديدة اعتمدتها العلوم في نفاثاتها وتخلصت بواسطتها الفلسفة من التقليد وصيطرة رجال الدين ».

الطفل المبسر

يُطلق هذا العنوان على الأطفال الذين يولدون قبل أو أنهم أي قبل نهاية الشهر التاسع من الحمل ، وبعبارة أخرى بين الشهر السادس والتاسع ، كان يولد الطفل مثلاً في الشهر السابع أو الثامن . أما الذين يولدون قبل الشهر السادس فلا يكونوا أبداً قابلين للحياة حتى وإن كانت مظاهر الحياة الطبيعية موجودة فيهم .

وإذا نظرنا إلى الأطفال الذين يولدون خلال الشهر التاسع من الحمل ، أي قبل أن تكمل مدتهم بأسبوعين أو ثلاثة أسابيع مثلاً ، لا نجدهم يختلفون قطعاً عن الذين قد وُلدوا في أوائلهم ، غير أن صغر حجمهم ونقص وزنهم وضعف أعضائهم جسمهم ، ولا سيما ضعف معدتهم وأمعانهم مع عمليات الهضم عندهم ، تحتم علينا طبعاً أن نوليهم عناية خاصة ومدارة فائقة ليتمكنوا من قطع تلك المرحلة القصيرة من حياتهم ربما يتقوون قليلاً ويصلون إلى السن التي يقدرون أن يعيشوا فيها كالأطفال الآخرين الذين وُلدوا في أوائلهم .

أما الذين يولدون في الشهر السابع أو الثامن فالحالة عندهم تختلف تماماً عن التي تقدم ذكرها . فوزنهم وحجمهم لا يكونان دائماً أقل مما في الحالة الطبيعية فحسب ، بل أن فرصة بقائهم على قيد الحياة تكون خصوصاً ضئيلة لعدم اكتمال نمو جسمهم وضعف أعضائهم . وأطفال كهؤلاء لم تكتمل مدتهم بعد يكونون غالباً ضعفاء هزيلين ولا يمكننا أن نعرف بالتأكيد عند ولادتهم إذا كانوا يعيشون أو أن يقضوا نحسبهم خلال الأسابيع الأولى من ولادتهم . والنظر إلى الطفل المبسر يجده نحيفاً مهزولاً ، ذا رأس صغير جداً وحجمه مدوّرة رخوة نوعاً ، كما أن بروز قحف هذه الجمجمة مع البوافيخ^(١) تكون عريضة جداً ، والوجه صغيراً دقيقاً مثلث الزوايا ، والفم واسعاً والدقن صغير جداً . والجلد أحمر مفضن ومغطى بالشعر ، والأظافر غير تامة النمو ولا تصل إلى أطراف الأصابع ، والجلد نفسه يكون قاسياً ضارباً إلى البياض وفيه انتفاخات غليظة . ومن المميزات الخاصة عند الطفل نفسه أنه لا يبرق ، وتكون حركاته قليلة أو نادرة ، وصراخه ضعيفاً يشبه الصي ، وتنفسه صعباً وقابله ضعيفاً

(١) يوجد يافوخان في الرأس وهما اليافوخ الامامي أو اليافوخ الكبير الكائن عند ملتقى النظم الجبهي بالظفرين الجداريين في أعلى الجمجمة ، واليافوخ الذنير ومركزه خلف الجمجمة عند ملتقى الظفرين الجداريين بالنظم المؤخري .

في أغلب الأحيان . وهكذا قل عن المضم فإنه يكون شيئاً نتيجة نقص الافرازات الغضبية . وهناك أيضاً قضية الوزن عند الطفل المبتسر . فالذي يولد في الشهر السابع يكون وزنه كيلو غرامين ، وفي نصف الشهر الثامن كيلو غرامين وربع ، وفي الشهر الثامن كيلو غرامين ونصف — بينما الذي يولد في أوانه يكون وزنه ثلاثة كيلو غرامات وربع تقريباً . وطبيعي أنه كلما كان نقص الوزن شديداً قلت فرصة بقاء الطفل حياً . ونصف الأطفال المصابين بالضعف الخلقي الشديد والخطر (وهم الذين ينزون أقل من كيلو غرامين يموتون في الأسبوع الأول من العمر . والأطفال الذين ينزون كيلو غراماً واحداً أو أقل لا يعيشون أبداً مهما بذلنا من الجهد والعناية أمامهم . أما الذين يولدون في الشهر الثامن من الحمل فيعيشون بنسبة أكبر من المولودين في الشهر السابع)

والذي يجدر ذكره هنا بنوع خاص هو قضية الحرارة عند الطفل الذي يولد قبل أوانه ، فهو لا يفرق من هذه الناحية عن الحيوان ذي الدم البارد كالسمك مثلاً ، ثم إنه لا يقدر أن يقاوم الحر ولا البرد كالأشخاص البالغين ، وتكون درجة الحرارة الطبيعية عنده واطئة جداً (٣٥° أو ٣٦° مئوية) ، وتضبط أو تهبط هذه الحرارة عنده مع درجة المحيط الذي يضعونه فيه — بينما الحرارة نفسها لا تختلف في الشخص البالغ باعتبار الصقع أو الفصل أو الجنس ، فهي أبداً على درجة متساوية تقريباً إلا في بعض الأمراض كالحميات مثلاً . وفي طاقة الانسان أن يقابل الحر أو البرد الشديدين كما يشاهد عند الذين يعيشون في الأقطار الاستوائية والشمالية ومحافظته على درجة واحدة من الحرارة .

﴿ مصير الولادات المبتسرة ﴾ : وهنا نتساءل : ما هو مصير الولادات المبتسرة وهل من خطر فعلاً على مستقبل أولئك الأطفال ؟ الجواب على هذا يختلف فيما إذا كانت الولادة قبل أوانها ناتجة أو غير ناتجة عن مرض خطير عند الأم . فالذين ولّدوا قبل أوانهم من الولادات مصابات بالبول الآحي Albuminurie مثلاً ، أو بالسل أو بأمراض القلب أو بالزهري الذي أهمل علاجه ، أو بأمراض المعدية الحادة (كالالتهاب الرئوي والحمى التيفية والحمى القرمزية والأنفلونزا الشديدة والتشنجات النفاسية) (Eclampsie) أو تسمم الأم من تعاطي المشروبات الروحية والمورفين : يصعب إذ ذاك نفوهم ونموهم ولا يستفيدون إلا قليلاً من التغذية نظراً الى ضعف عملية التمثيل عندهم لقلة حيوياتهم . ثم إن هيئتهم قد على إنهم قد ولّدوا وفيهم نقص خلقي أو وراثي مكتسب من المرض المصابة به أمهم . وبالعكس لما ينقطع الحمل لسبب من الأسباب العارضة كالإصابة بالجروح ، أو الإصابات التي تقع على بطن الحامل أو الخوف أو الانفعالات الشديدة ، أو الوقوع على الأرض ، أو وجود توأمين ، أو ليس

الأحزمة الضاغطة على البطن لاختفاء معالم الحمل ، أو من وضع الطفل الشاذ في البطن أو عدم قدرة بعض النساء اللاتي لا يصلن طفلهن إلى أوان الولادة الطبيعية الخ... ففي مثل هذه الحالات يمكن التوصل بوجه عام إلى تربية الطفل دون أية عناية أخرى سوى ملاحظته وزيادة مداراته والسهر على حياته في سنته الأولى . ومتى وصل إلى هذه السن نجد الطفل لدرجة ما متحسنًا وصحته جيدة حتى أنه لا يفرق بشيء عن الأطفال الآخرين الصحيحي البنية من السن ذاتها وإذا اقتضى الأمر فإنه يوضع في جهاز خاص حيث يمكن ضبط الحرارة والرطوبة والهواء النقي بالقدر الذي يحتاج إليه الطفل كما لو كان في رحم أمه . كذلك يعطى الغذاء بقدر محدود يمينه الطبيب لأن على هذا الطبيب قترتب مسؤولية مثل هذه الحالات الدقيقة جدًا .

﴿ كيفية العناية بالطفل المبسر ﴾ : (أولاً — نظام التغذية) : المماهد في الأطفال المولودين قبل الأوان أنهم لا يستطيعون في الغالب أن يرضعوا أو يمتصوا ندي أمهم بالنظر لضعفهم ، وهذا ما يقلل إفراز اللبن من الثدي . فعلى الأم حينئذ أن تنبّه هذا الإفراز وذلك بوضع طفل قوي على الثدي ليمتصه بشدة ، ثم يوضع بعدها الطفل الضعيف على ندي أمه مدة دقيقتين أو ثلاث دقائق ، وذلك كل ثلاث ساعات في اليوم الثاني والثالث . ثم زاد مدة الرضاعة في الأيام التي بعدها . وقد تضطر الأم في مثل هذه الحالات إلى أن تشفط اللبن من ثديها بالشفطة وتعطيه إياه بالملعقة أو بالقطارة إذا كان الضعف شديدًا . وإذا كان بلع الطفل اللبن غير كاف فيسكب هذا باحتراس وتأن في بلعوم الطفل مباشرة وذلك بواسطة ملعقة صغيرة ، ويمكن أيضًا سكبها في أحد المنخرين . والأفضل من هذا كله استعمال قطارة صغيرة ينقط بها اللبن في فم الطفل ، أو تستعمل قسطرة (أنبوبة) صغيرة من الكاوتشوك الأحمر المرن من نغمة ١٥ إلى ١٨ على الأكثر وتكون متصلة بمحقة وتمر أفقيًا في قاع الأنف — بشرط أن تكون فتحتا الأنف نظيفتين جدًا وخاليتين من كل إفراز حتى تصل إلى خلف الزور ثم المعدة ، فيصب اللبن تدريجًا من إحدى فتحتي الأنف فيصل إلى معدة الطفل بدون مجهود منه . وينصح بعض الأطباء استعمال جهاز خاص لجذب اللبن في الثدي بأحد طرفيه والطفل يمس اللبن من الطرف الآخر . وغني عن القول أن لبن الثدي بالنسبة للأطفال كمؤلا هو اكسير الحياة ، فإذا تعذر الحصول عليه من الأم وجب احضار مرضعة لترضعه من لبنها أما المقدار اللازم لتغذية أطفال ضعاف كمؤلا فيختلف باختلاف الوزن . فالذي وزنه ٢٠٠٠ غرام مثلاً يجب أن يرضع ٤٠ غراماً من اللبن في كل مرة ، وعدد الرضعات ١٠ إلى ١٢ يوميًا ، أي بنسبة خمس وزن الطفل . وإذا كان وزن الطفل أقل من ٢٠٠٠ غرام فلا يجوز أن تمتدئ كمية غذائه اليومي خمس الوزن ، وكلما تقوى الطفل قليلاً تقلل الرضعات إلى مت أو ثنائي يوميًا .

وربّ سائل يسأل : هل يجوز تغذية هؤلاء الاطفال باستعمال الرضاعة الصناعية؟ وما طريقة ذلك . الجواب انه يجب علينا في الدرجة الاولى اعطاء الطفل لبن أمه ، إذا لم يقيس لنا ذلك فلبن المرضعة ، وإذا كان وجود هذا متعذراً لسبب ما فلا مندوحة اذ ذاك عن ارضاعه صناعياً . والرضاعة الصناعية هذه تقوم بتخفيف اللبن المحلى المكثف وذلك بنسبة $1/8$ خلال الأسبوعين الأولين . وبعد ذلك يعطى الطفل مخففاً ثلاث مرات ومضافاً اليه السكر . ولما كان هذا اللبن قليل المواد الدهنية والزلائية فيعطى الطفل في الشهر الثاني بوردرة اللبن المخففة لتماثل لبن الأم والتي تحتوي على ثلاثة أرباع مواد دهنية ، ويستمر هكذا حتى يستطيع أن يأخذ لبن البقر في النهاية .

وكما أن اللبن ضروري هؤلاء الاطفال فالماء أيضاً ضروري لهم وعلى الخصوص عصير الفواكه كشراب البرتقال مثلاً ، فيعطى مقدار خمس نقط مذابة في ملعقة صغيرة من الماء يومياً وذلك بعد الأسبوعين الأولين من الولادة . وكلما تقدم الولد في السن تزداد كمية شراب البرتقال مع كمية الماء . ويعطى أيضاً الاطفال أنفسهم مستحلب زيت السمك الغني أيضاً بالفيتامين والذي هو أحوج وأفيد لهم من سواهم .

وعلى كل لا بد في مثل هذه الحالات من التوضحية والاخلاص واستعمال الفطنة والروية وبذلك ينشأ الولد صحيحاً معافى ويصل الى شاطئ السلامة . والمراجع الطبية تؤيد لنا أنه قد أمكن تربية أطفال قد ولدوا حتى في الشهر السادس ونصفه وزمهم لم يكن سوى ١٥٠٠ غرام بل ١٢٥٠ غراماً فقط .

ثانياً — التدفئة : الاطفال المولودون قبل أوانهم يتأثرون بنوع خاص من البرد ويخشون دائماً منه ، وقد تنخفض درجة الحرارة عندهم فجأة وتصل الى ٣٠ و ٢٩ حتى ٢٥ مئوية دون أن يؤدي ذلك الى الوفاة ، فإذا لم نعمل على تدفئتهم بالوسائل اللازمة ، ولقهم بالقطن ، وجعل سريرهم مزوداً بزجاجات المياه الساخنة وذلك جسمهم بزيت الزيتون فقد يؤدي انخفاض حرارة جسمهم الى الوفاة . وإذا كانت درجة الضعف شديدة فيوضع الطفل في محضن خاص (أي فرن) لمدة أسبوع أو أكثر .

ثالثاً — حماية الطفل من العدوى : ان الأمراض المعدية ، حتى الزكام العادي ، إذا أهمل أمر علاجها فكثيراً ما تمتد الى الرئتين وتسبب التهاباً يؤدي نتائجها الى عواقب سيئة . ولهذا يجب الانتباه وعدم السماح لأي شخص مصاب أو مشتبّه بمرض ما ، ولا سيما السعال والزكام أن يقترب من الطفل أو أن يدخل حجرته .

الثقافة العربية في الجزائر

تستصرخ العرب

يبدو أن قادة العرب لم ينظروا نظرة فاحصة الى ما نص عليه الدستور الفرنسي الجديد من اعتبار (الجزائر العربية) بلداً فرنسياً لا فرق بينه وبين أي جزء من التراب الفرنسي من حيث الوضع الدولي . فلم يتجاوز موقفهم منه ما هو دأبهم أزاء كل تشريع يفرض على بلد عربي مصطهد من الاحتجاج والامتنكار الذي لا يعبر عن أكثر من تعزية سياسية ، لذلك البلد المنكوب ، مع أن هذا الوضع الدستوري الجديد الذي فرض على الجزائر فرضاً — في رأينا — كل بلد عربي بطريق مباشر كأني وضع دولي ذي علاقة مباشرة بمصالحه القومية وحقوقه الخاصة . وهو لذلك قابل للتأثر ، بل عرضة لازوال بما تقوم به الدول العربية ضده — دافعاً عن حقوقها القومية ومصالحها الخاصة — من عمل ايجاب جدي حازم جريء فأخطر نتائجه — في رأينا — هو تسوية كل إجراء تتخذه فرنسا (لتخليص) الجزائريين من عروبهم واستخلاصهم لما يراون عليه من الانقطاع عن ماضيهم والاندماج الروحي في العائلة الفرنسية الكبرى ضمناً للاندماج السياسي وأماناً من كل ما من شأنه ايقاظ الشعور القومي والنزعة الانفصالية من الداخل أو الخارج ولو بعد حين . أو بعبارة أوجز تبرير العمل بصراحة على ابادنة القومية الجزائرية من أسسها الاولى بمحاربة الثقافة العربية في الجزائر — بصفتها ثقافة أجنبية — بجميع الوسائل في مأمن من الرأي العام الدولي . إذ لا وزر على فرنسا — كأمة ذات حضارة — أن تعمل على التمكين لحضارتها في جزء من وطنها وإن أدى ذلك الى محاربة ثقافة أو حضارة أخرى داخل ذلك الجزء بحجة أنه ليس بحاجة اليها ، بل قد لا تنسجم مع حضارته القومية ومصالحه الوطنية وقد يكون انتشارها مدمراً في تلك

الوحدة التي هي ضرورة الحياة الأمة وليس هذا مجرد حدث قد يخطئ به الغلو في التعصب جادة الصواب .

فبينما ينص هذا الدستور نفسه في مقدمته ومواده الأولى على ضمان الحريات كلها — ومن بينها حرية القول والاعتقاد والاجتماع — لجميع الفرنسيين والقاطنين في الأرض الفرنسية ومنهم الجزائريون الذين أطلق عليهم لقب (الفرنسيون المسلمون) نرى أضياف الأوراق المهمة في محافظات جميع المدن والقرى بالجزائر تثبت مئات المطالب بالترخيص في فتح مدارس أو تأسيس جمعيات وأندية عربية مهما كان نوعها وهدفها . ونرى هذا البلد الذي يضم ٥٠ ألف وأحد عشر مليون ناطق بالضاد لا يسمح فيه بإصدار صحيفة واحدة بلسانه الذي حافظ عليه وآثره من بين سائر اللسانة ثلاث مئة ألف سنة ولا يسمح فيه باستيراد صحيفة عربية أو كتاب عربي من أي بلد عربي آخر وان كان موضوع الصحيفة أو الكتاب لا يخرج عن الدين الذي ينص هذا الدستور على ضمان حريته، في حين يسمح بإصدار واستيراد الصحف والكتب بجميع اللسانة الأجنبية الأخرى مهما كان نوعها وموضوعاتها وقد تكون دعاية صريحة ضد السيادة والمصالح الفرنسية . بل لقد أصبح الحديث بالعربية العامة فيه دليلاً على التمرد والخروج على الطاعة ومدعاة لوضع التحدث بها — كرجل خطير على أمن الدولة تحت رقابة عصبية من الجواسيس — فالدستور الذي يكفل جميع الحريات الفردية والاجتماعية يعتبر الجزائر بلداً فرنسياً ويعتبر اللغة العربية لغة أجنبية وخطيرة على سيادة الدولة ومصالحها القومية فهي لذلك اللغة الأجنبية الوحيدة التي لا تتمتع في الجزائر بالحرية لأن حريتها يعرض سلامة الدولة للخطر — لقد أعلن في عهد حكومة الجنرال شارل ديغول إلغاء القوانين الأهلية وهي القوانين الاستثنائية التي كانت مشروعة على الجزائر طيلة عهد الاحتلال . وحسب بعض الاغرار أن الأمة قد أريحت من كابوس خائف ومتعت ببعض الحرية برفع هذه القوانين القاسية فصار في إمكانها النهوض بمسئولاتها الاجتماعية والثقافية . بيد أنها ما لبثت أن أخذت الحقائق تجبها في قسوة ومرارة . فأعلن الجنرال جرج كازرو بصفتة والياً طامساً لفرنسا في الجزائر ووزيراً مفوضاً لها في شمال أفريقيا عامة مشروعه الذي يتلخص في انهاء عشرين مدرسة فرنسية لمختلف مراحل التعليم

همتها أن تخرج في خلال عشرين سنة مليون شاب لا يعرفون كلمة عربية واحدة وأتبع ذلك بتصريحه الذي يقول فيه (أن الذين يحملون ببقاء الجزائر عربية أو بإمكان انفصالها عن فرنسا إنما هم أغرار يستحقون الشفقة والرثاء). ثم جاءت حوادث ٨ مايو سنة ١٩٤٥ فآخذتها فرنسا سبيلاً لاغلاق جميع المدارس العربية بحجة أنها كانت وكرّاً للمتمرّين على سيادة الدولة والأمن العام . مع أنّ الذين اشتروا في تلك الحوادث أغلبهم من العمال وخريجي المعاهد الفرنسية . وأطلقت اسان صحافتها على العربية والإسلام فكتبت نفر من رؤساء أحزابها بما فيها الشيوعية والاشتراكية ومن وزراءها السابقين وفي مقدمتهم المسيو مارك ركار وزير العدلية السابق يطالبون بإبادة المساجد من كامل القطر الجزائري أو على الأقل بترجمة القرآن الى اللغة الفرنسية ترجمة رسمية منقحة يحذف منها كل ما من شأنه إيقاظ النخوة والشعور بالكرامة في النفوس لتفرض على المسلمين لتلاوتها في الصلاة والعبادات، على أن تحرم اللغة العربية عليهم تحريماً قاطعاً اذا ارادت فرنسا الاحتفاظ بالجزائر كجزء من أرضها لأن اللغة العربية هي أخطر شيء على السيادة الفرنسية . وكان من نتائج هذه الحملة الشعواء التي استمرت حوالي أربعة أشهر وشاركت فيها جميع الصحف الفرنسية الكبرى أن صدر قرار من الولاية العامة الفرنسية بالجزائر ينص على عدم الترخيص لاحد بالتعليم العربي إلاّ بعد أداء امتحان في اللغة الفرنسية ... وعلى عدم الترخيص بفتح مدرسة أهلية إلاّ بعد الاطمئنان الى نزاهة القائمين بها ... وتعهدهم بتعليم الفرنسية والعربية معاً في حصص متوازنة ... وشدّدت الرقابة على الحدود التونسية حتى لا يفلت الى تونس طلبة العلوم العربية المغامرون لتلقينها في جامع الزيتونة (صنو الأزهر) وسبق عشرات منهم الى المعجون لأنهم حاولوا اجتياز الحدود بغير جواز فالحصول على الجواز أمر ليس في الإمكان وعزّز عليهم أن تمكّص خلال الثقافة العربية من الجزائر العربية — وعلى الرغم من مساعي الجزائريين الذين اشتروا في وضع الدستور الفرنسي الجديد أملاً منهم في تحقيق بعض رغبات الجزائر القومية من هذا السبيل — فقد أصراً جميع زملائهم من الفرنسيين على رفض رغباتهم في اعتبار اللغة العربية لغة رسمية في الجزائر الى جانب اللغة الفرنسية فأصبحت بحكم هذا الدستور لغة أجنبية فيها، وأصبح كل ما كان يتخذ ضدها من أعمال أو يشرع من

قرارات إدارية موافقاً لروح الدستور ونصوصه فصار بذلك عملاً شرعياً ليس فيه من جناح .

وبديهي أن تضيق الخناق على اللغة والثقافة العربية مساس صريح ومباشر بالحقوق القومية والمصالح الخاصة للدول العربية . إذ من نتائج زوال نفوذها في بقعة تعتبرها جزء من وطنها الأكبر ، كما أن من نتائج فقدان مصر وسوريا لسوق كان من أخصب أسواق مكاتبها وصحفها وكان في الامكان أن تزداد نطاقها عن أيام . فهل فكرت الدول العربية في اتخاذ موقف عملي حاسم إزاء هذا الاعتداء أن في إمكانها ولا سيما مصر وسوريا اتخاذ مصالحها واتخاذ الجزائر من خطر تكرر مأساة الأندلس مرة أخرى في تلك البقعة التي دافعت عن عروبتهما قرناً وسبع عشرة سنة دفاع الأبطال .

ففي مصر وحدها ١٣٦ مدرسة فرنسية بمختلف مراحل التعليم ، وفي مصر توزع كل أسبوع ٨٠ صحيفة فرنسية يصدر بعضها في القاهرة ويرد الباقي من فرنسا في إمكانها أن تطالب بدل كل مدرسة وبدل كل صحيفة بمثلها في الجزائر وهي بذلك غير ظالمة وهي بذلك ستربح كثيراً

أما بعد ، فقد وفد على مصر منذ فترة وجيزة الأديب الفرنسي الكبير المسيو جورج دو هاميل داعية للثقافة الفرنسية وكانت أول محاضرة له في القاهرة تحت عنوان (فرنسا حياتي) . وسوف لا يصل هذا المقال إلى القراء حتى يكون الأستاذ موريس جارسون الأديب الفرنسي المشهور قد وصل مصر لمواصلة ما بدأه سلفه من الدعاية لفرنسا وثقافتها . فهل فكرت مصر في أن توفد إلى شمال أفريقيا من أساتذتها من يمد أولئك العرب المتلففين المحرومين بأقباس من الثقافة وتجدد في مصر العزيزة التي قطعت بينهم وبينها الصلات منذ زمن طويل . إن فرنسا لم تسمع إلا مرغمة وفي إمكان مصر أن ترغمها أن هاءت وعسى أن ينتبه قادة مصر إلى هذا الواجب الخطير .

محمد الحاج الناصر الجزائري

الباب

الذي امتنع غلقه ...

... قصة بقلم ماري روبرتس رينهارت ، لديها أن تكون أقرب الى الواقع العائلي منها الى الخيال القصصي ... أهديتها الى الناشئة الجديدة من فتيات اليوم ، اللاتي لا تكاد تستقر بين الحياة الزوجية حتى تفشى سمادهن سحب قائمة من غيوم الشك والخوف ...

وكان شبح حماتها يكمن وراء الباب الكبير ، أما الآن فقد اختفى ...

حدث هذا أول ما حدث عند ما كانت لويس في المنزل ، وكان روي زوجها في عمله ومايل الخادمة تجادل بعض الصبية عند الباب الخارجي في فترة راحتها المسائية — ولم تكن لويس قد لاحظت شيئاً من قبل ، أو لعلها لم تكن قد تنبّهت إليه جيداً ، ذلك أنها لا تكاد تعلق باب مسر اليسون حتى يعود فينفتح إن عاجلاً أو آجلاً ...

وفي ذات ليلة صارحت لويس زوجها بكل شيء ، وقد كانت حذرة في حديثها كل الحذر ، فانها تعلم مبلغ ما يصيب روي من الحزن والألم عند ما يتذكر أمه ... فقالت له «أريد يا روي أن تلقي نظرة على باب حجرة أمك » فقابل روي شارتها هذه بتجهم ، وقال « وما أمر هذا الباب ؟ ... »

لقد امتنع غلقه ..

— هذا صخف . فما الذي يمكن أن يحدث له ؟ ..

— لست أعلم ، وإنما هو مفتوح كل الوقت ، لا تكاد نغلقه حتى يعود فينفتح ..

— هذا أمر يحدث لسلك الأبواب ...

أخذ روي حديث لويس على أنه بقايا ضغائن قديمة لم يقبرها الموت ، وكل ما هنالك محاولة خبيثة من جانب زوجته لكي تغلق باب مسر اليسون الى الأبد ، كأنها حجرة الأم كافية لأن تنير الضغائن ..

— وقد أرادت لويس أن تدافع عن نفسها فقالت لروي « هذا غير صحيح ... فأنت تعلم أنني كنت مخلصه لها ، ومن أجل هذا أسألك وأكرر السؤال ، لماذا يا عزيزي ، وقد كانت هذه معاملتي لأمك ، تفعل هي بي ما تفعله الآن ؟ ... !!

— ما الذي تفعله ؟ ..

... — تقف هنا ... منذ عشر سنوات ، من ذلك اليوم الذي جمعنا فيه رباط الزواج ، وهي واقفة هنا لا تترك هذا المكان ، كانت تمشي وكنت أنت تظنها قد شلت عن الحركة ... كنت أسمعها بعد أن تنام أنت .. كانت ...

ولكن روي قاطعها في قسوة ، وخرج غاضباً إلى حيث لا يسمع شكوى زوج رزين في الحياة من أم ترقد في أطباق الثرى ...

أما لويس فقد ظلت جالسة تفكر في الماضي الطويل الذي انقضى ، في هذه السنوات العشر العراض التي حفلت بنظرات البغض وتنفيذ كالمساهم من حجرة مسر اليسون ، تلك المرأة التي اجتمع فيها الحقد بما لم يجتمع في غيرها ، حتى لقد كانت وهي المشغولة بالحركة — كما كانوا يزعمون — تنسرق أخبار المنزل وتحيط بكل صغيرة وكبيرة فلا يفوتها شيء من أحداث المنزل الكبير ... أما هي فقد أخذت تروض نفسها على نسيان هذا كله ما دام روي معها بجانبها ، ومع هذا فإلى حد ما حتى علاقتها بروي قد بدأت تفتت وكأنها كانت هناك أذن ماكرة تصنع إلى كل شيء ، حتى إلى خفقات القلوب الحافلة بهوى الشباب ... كانت هذه المرأة المعجوز راقدة في سريرها تسمع وتنظر ، ولئن كانت النظرات تقتل فما أحرارها نظرة من نظرات هذه المرأة البغيضة كافية لأن تقضي على لويس وأكمام شبابها لا تزال تتفتح ...

كانت لويس جالسة إلى المنضدة تفكر في كل هذا .. أجل ، إن حمايتها كانت تكرهها بهذه الكراهية التي تمثل غير امرأة عجوز قانية من امرأة هابة فاتنة .. كانت تكرهها لأن روي يحبها .. منذ ذلك اليوم الذي طادت فيه مع روي من حفل زواجها ، صادفتها هذه المرأة كعقبة كأداء في سبيل حياتها وسعادتها .. وإنها لتذكر جيداً كيف قابلت المرأة المعجوز زوجة إبنتها لأول مرة بابتسامة لن تنساها لويس ما بقي لها حياة .. دعتهما مسر اليسون إلى حجرة الاستقبال ليتناولوا الشاي لأول مرة وكان أول ما قالته تحية لها . « إنني الآن امرأة عجوز ، وإنني طبعاً لا أشعر إنني فقدت إبناً بل كسبت إبنة — ولكنني من الآن لن أصبح صيدة المنزل »

وقد كان تصريح مسر اليسون مفاجأة لروي غير منتظرة فأبتدرها قائلاً « ولماذا يا أمه

لا ندع الأمور تجري كما كانت ، وأنت لا شك تعلمين أن لو أصغر من أن تتولى إدارة منزل كبير . « فأجابت مسز اليسون « لا يمكن أن تجري الأمور كما كانت يا بني العزيز ... فأنت الآن متزوج .. » ثم كان أن أصرت مسز اليسون على أن تأخذ لويس مكانها من الطاولة ، كل هذا ونار الحقد تتأجج في نفسها وتنبعث من فيها في صورة ابتسامة .. يالها من ابتسامة ! .. صور الماضي تتلاحق أمام لويس وهي جالسة عند الطاولة تفكر .. « فهذا روي قد أثله الحب والفرح فحمل لويس على كتفيه وأخذ يدورها في أرجاء الغرفة ، ثم دخل حجرته الخاصة وهو يقول « وأخيراً أنت معي يا عزيزتي .. وفي حجرتي » .. وها هي هذه الفتاة الخجول تبدأ في خلع ملابسها وهي تردد .. وروي يبصرها وهو جالس في الطرف الآخر من السرير يصفق لجمالها ويضحك من ترددها ... ثم يتبادر إلى مسمعها صوت ارتطام جسم ينبعث من الدهليز الطويل في هدوء الليل ، فيخرجان سريعاً من الحجرة ... فإذا يصادفهما ؟ رأيا مسز اليسون ملقاة على الأرض فاقدة النطق ...

أجل كانت هذه ليلتها الأولى ... وهذا روي يحمل أمه فزعاً مضطرباً إلى حجرتها وتجمع الخدم وحضر الأطباء واضطرب كل شيء ... ولما أرادت لويس أن تتبع روي أزاحها بيده جانباً كأنه هو لم يعرفها من قبل ... فانسلت لويس وحدها إلى حجرة الاستقبال الكبرى ... كان الجو بارداً وكانت تشعر بقشعريرة ..

وهي الآن تشعر بقشعريرة . فقد طال جلوسها ولا بد أن تعد الطعام بيدها لأن مابل قد ذهبت إلى منزلها ، ومع ذلك ظلت جالسة تفكر . قد يكون روي على حق وتكون هي قد أصيبت بمجنون .. يالها من سنوات عشر قضتها في ذلك المنزل الكبير الذي أفلس فيما بعد من المال وقاست هي متاعب الحياة فيه ، فكانت تغسل وتحمل الأطباق وتعد الطعام بيدها وكانت فوق ذلك كله تقوم بخدمة امرأة عجوز تكرهها ، لا شيء إلا لأن روي يحبها ، عشرة أعوام تمضي وهي تعمل جامدة على إسعاد روي ، والآن عندما بدأ الخلاص يقترب ؟ ...

ونفأة تنبّهت لويس إلى صعود روي درجات السلم فقامت بسرعة وما إن رآها روي حتى ابتدرها قائلاً « اسمعي يا لو لقد أحكمت غلق الباب بيدي الآن .. »

— وهل كان مفتوحاً ؟ !

— أجل ! ولماذا ؟

— لأنني قد أغلقته بيدي قبيل أن تنزل ...

نظر إليها روي ثم استمدار بسخرية لاذعة قائلاً لها . « انفي على موعد الآن .. وأملعي

عملي الذي يجب أن أوليه عنايتي ، وليس لي من الوقت ما أضيعه في ترهات مجانين ... »
وبعد خروج روي ، صعدت لويس بهدوء إلى غرفة مسز أليسون لتتأكد .. فألقت
الباب مفتوحاً .. فكادت أن يغمى عليها ولكنها تماثلت وأمسكت الباب بيدها وظلت تنظر
إلى فراغ الحجرة الملتحف بالظلام وهي تقول . « امهمي ! » ماذا يجديك من هذا كله ؟ ..
ألم يكفك أن روي كان في يدك كل هذه المدة ، حتى بعد زواجي به كان دائماً في يدك ...
لا تعتقدي إنني كنت أجهل ، لقد كنت أعلم كل شيء .. ألا تتركينه الآن ؟ .. إنني لا أصال
هذا من أجلي ، ألا تريد أن يكون سعيداً ؟ ... » — وانتظرت لويس جواباً لهذه المفاجأة
فهي قد سمعت من قبل أنه في مثل هذه الأحوال تتردد أصوات مبهمه وتنبعث أضواء
مختلفة ، ولكن شيئاً من هذا لم يحدث ، وهي نفسها لم تكن تعتقد بشيء من هذه الخرافات
فكيف لها أن تعمل ما يدور حولها ، وإذا كانت مخطئة أو واهمة فكيف السبيل إلى
التخلص من هذا الوم ؟ ...

اكتفت لويس بعد ذلك بإحكام غلق الباب ، ثم صعدت إلى المطبخ لتعد طعام العشاء
لروي . ولما عاد روي كان يبدو عليه النشاط واختفى عن وجهه ذلك التعجب وتلك الصلابة
التي قابل بها حديث لويس السابق ، وكان أول ما فعله أن وضع يده على كتف لويس وقال
لها « آسف يا لويس فنحن متعبا الأعصاب على ما أظن ولا بد من ذهابنا إلى السينما ... »
وفي خلال عرض الفيلم غشيت روي اغفاءة فنام — وكانت لويس تلاحظه في نومه وقد
ملاً الخوف قلبها ... كم تغير روي في خلال هذه الأسابيع الأخيرة حتى لقد بدأ كرجل
متعب ، كرجل بدأت حيويته تنضب ، كرجل مريض .. انتفضت لويس لهذا الخاطر الأخير
وانتهى الفيلم فاستيقظ روي ولم يكن يدري متى نام ...

وطادا إلى المنزل في ساعة متأخرة من الليل فوجد الباب مفتوحاً ... فنظر روي إلى
لويس ضاحكاً وقال لها « أجل يالو إن الباب مفتوح مع أنني أفسم أنني أغلقته بيدي ..
اعتذراؤني لك يالو ، إن هذا الباب يفتح حقاً » . وكان روي ينظر إلى الباب وهو يغلقة
بفهم مبهم فقد أفادته الاغفاءة فقابل الأمر مرحاً وعند ما استلقت لويس في سريرها قبلها
روي وأطفأ النور ...

لكن الباب عاد فانفتح .. وسمعت لويس صريه من خلال الدهليز الطويل فجلست
وعيناها تمثلان رعباً وحشياً ... وقالت « لا ... لا ياروي أرجوك »
— ماذا جرى لك ، ألا استطيع أن أنام براحة

— ... الباب يفتح مرة أخرى ... إنها هنا ، أنظنها قد ذهبت ، إنها لم تذهب ، إنها في المنزل لم تتركه أبداً ..

فلم يكن من روي إلا أن ترك الحجرة للويس وذهب هو لينام في حجرة أمه . وفي هذه الليلة لم تم لويس دقيقة واحدة . . أحست بمابل وهي عائدة في منتصف الليل تتحسس طريقها في حذر لكي لا تنبه أحداً إلى وصولها متأخرة . وبين الساعة الثالثة والرابعة سمعت بألم اللبن بحماره وأحست به وهو يفرغ اللبن من الوعاء ، ثم وهو يذهب إلى منزل آخر ... وفي الصباح كان يبدو على روي الهزال وكان يعمل فائثاً هذا خوف لويس وقالت له « أنك مريض » فأجاب « ان هذا حال كل زوج تخرجه زوجته من حجرته في الليل » .

ولكنه أضاف قائلاً « لا يهملك هذا كثيراً ... المهم اني أريد ذهابك الى جهة ما بعيدة عن هذا المنزل للاستجمام فان رحلة أيام في مكان هادئ قد تذهب بما أصاب في أعصابك من الاضطراب .. »

ولكن لويس رفضت قائلة ان أذهب قبل أن تبرأ من هذا البرد ... انني ظلمت أفكر طوال الليل وأنساءل هل قد فقدت عقلي ! .. »

وعند ما هم روي بالخروج بعد طعام الافطار كان يعمل بشدة .

وفي الساعة الحادية عشرة حضر نجار بعث به روي لكي يصلح ما بباب ممز أليسون من عطب إن كان هنالك ثمة عطب ... وقد ظل النجار مدة طويلة يعمل في الباب ما يحظر له من ضروب الإصلاح ، وفي النهاية أشار الى متانة الباب واحكام غلقه بحيث يصعب فتحه . وما أن فرغ النجار حتى نظرت لويس إلى نفسها في مرآة الدهليز الكبرى ، فماذا رأت ؟ . . رأت عينين متعبتين فاقدتي الحياة وشعر رأسها الطويل قد بدأ يتهدل وينبت الشيب فيه . وقد أخبرت لويس خادمتها بذلك فكان جواب الخادمة أن على لويس أن تراعى صحتها وتعني براحتها ، إن هنالك رباطاً من المحبة وثيقاً يربط لويس بخادمتها ، فقد عاشا سوياً في جميع عشرة أعوام ، كانا خلالها عبيدين لجرس صغير تقرعه امرأة عجوز ، كلاهما صعدا درجات السلم وحملوا الاطباق وأحضروا الطعام وغسلا الثياب وكلاهما اشتهر في حياة الخوف والشك طوال عشر سنوات ...

— ... ماذا كنت أفعل لولاك يا مابل ؟ ..

— إن كل شيء على ما يرام يا صيدتي ..

— أجل كل شيء على ما يرام يا مابل . وطفقت لويس تردد هذه العبارة . لكن لم

يكن كل شيء على ما يرام ، لأن الباب قد فتح ...

- بعد ساعتين من هذا كانت لويس تجلس أمام رجل ينصت إليها بوجه هادئ كريم ..
- أجل ، لقد فهمت ، ولكن منذ متى لاحظت أمر الباب ؟ ...
- عند ما عدت من جنازة مسز أليسون جماتي ، ذهبت الى حجرتها وأقفلت نوافذها وقد كانت مابل الخادمة قد رقت كل شيء ، وعند ما خرجت أغلقت الباب ، وأنا واثقة من ذلك ، لأنني عدت ثانية وتوثقت من غلق الباب ...
- ولماذا أردت التأكد من غلق الباب ؟ ..
- لأنني كنت أريد أن يكون الباب مقفلاً . لم أكن أرغب في أن أرى الحجرة مرة أخرى ، فقد قاسيت منها الكثير ، كانت منار ازواج لي ، فكنت أريد أن أنسى الحجرة .
- ثم ماذا ..
- ... بعد هذا بثلاث ساعات كان الباب مفتوحاً لآخره ..
- ولماذا كنت تريدن نسيان الحجرة ، ألأن مسز أليسون كانت مريضة لسنتين طويلة وكانت لذلك مبعث اضطراب وقلق ؟ ..
- ... أجل كان هذا بعض السبب كما أظن ، فقد ذهب شبابتنا أنا — وروي ، فأنا الآن في سن الثلاثين ، ولم نخلف ولداً ، فلم يكن هنالك أمامنا غير البؤس ومراقبة الأطباء والدواء ..
- كان هذا كما تقولين بعض السبب . وماذا كان البعض الآخر ؟
- كانت مسز أليسون تمتلئ غيرةً مني .. في الليلة الأولى من زواجنا أصبحت نبوة في قلبها ..
- هل تظنين أنها كانت نبوة حقيقية ؟ ..
- لست أعلم ولم يكن من الممكن لي أن أعلم أبداً ..
- .. لقد كنت تكرهينها إلى حد بعيد . أليس كذلك ؟ ..
- كلاً .. لست أعلم ، لقد كنت دائماً أخاف منها فقد كانت تحاول أن توقع بيني وبين زوجي ..
- ... وفيما يختص بالباب أواثقة أنت من أنه يفتح أم أنك فقط تخمين أن يفتح ؟ ..
- أتفهمين ماذا أعني ؟ ..

— لست واهمة في ذلك فلقد رآه روي ورأته مابل الخادمة ..
 — .. وماذا تستنتجين من كل هذا ؟ ..
 — ... أعتقد أن مسر أليسون حادت ثانيةً من أجل روي ... وأنا أخشى أن تأخذه
 مني ، ومن أجل هذا أنا هنا لأعرف وجه الحق منك . ولكنك لم تعرف هذه المرأة ..
 إنها قادرة على ذلك .. وروي الآن ليس في حالة طيبة .. إنه ليس على ما يرام منذ موتها .
 وجفأة أغرورقت عينا لويس بالدموع ودفنت وجهها في منديلها .. وقالت « إنني أعتقد
 في نفسي الجنون ... لا أعتقد إنني لا أقدر صدى هذه الترهات عند سامعها . لكنني
 أشعر بوجود المرأة في المنزل ، في حجرتي ، في كل مكان ... »
 مال الطبيب بظهره في كرسيه وقال في هدوء .. لا .. ليس بك جنون .. وإنما يستحسن
 انتقالك من منزلك هذا إلى بقعة أخرى ، ولو إلى حين ، فإن هذا قد يكون أبعد لك
 على الاطمئنان «

— لكن روي لن يقبل أن يترك المنزل الذي فيه ولد وظل طوال حياته
 — أفضل أن أتحديث في هذا إلى زوجك .. والآن أوصيك بأن تشتري في طريقك
 قفلاً لتوصدي به باب الحجر وتحاوي النوم الهادئ .. ونقي أنك سليمة وتحتاجين
 إلى بعض الراحة فلا تخشي شيئاً ...

في طريقها إلى المنزل ، ابتاعت قفلاً ، ووضعت به مابل في باب الحجر قبل
 حضور روي .

ولكن روي لم ينتبه إلى القفل ، فقد عاد أسوأ مما كان وقد تفاقم مرضه . وكان نومه
 في هذه الليلة نوماً مضطرباً . أما لويس فلم تنم دقيقة واحدة — لقد كانت قلقه على روي
 وكان يستولى عليها شعور بأن في الحجر شخصاً قوياً جداً يريد اختطافه منها . وفي فترة
 اشتد فيها سعال روي وتقلب كثيراً في نومه ، أخذت لويس توجه حديقها إلى الشخص
 القوي بصوت مرتفع :

... لا تستطيعين فعل هذا . ليس في مقدورك أن تأخذه مني . إنه ملكي أنا . إنه
 لا يزال صغيراً ، فلماذا لا تتركه ؟

ثم وضعت لويس يدها على رأس روي فاذا به يلتهب من الحرارة ، فانتفضت واقفة
 في وسط الحجر المظلمة وقد أحست الاحساس أن هناك صراعاً بين المرأة الميتة وبينها .

صراعاً بين الخير والشر ، بين الحياة والموت ، فكان عليها أن تقاوم . « إنه لن يموت »
انه سيحيى أنسمعين هذا ؟ .. »

وفي الصباح إستدعت الطبيب فإذا بروي قد أصيب بالتهاب رئوي وأمر الطبيب أن
يعالج روي في المستشفى ..

ومرت أيام عسيرة كان روي في حالة بلغت منتهى الخطورة وبلغ بحجمه الهزال مبلغاً
كبيراً وكان وجهه يبدو غريباً أقرب إلى وجوه الموتى منه إلى وجوه الأحياء .. وكانت
للويس حجرة أخرى بجوار حجرة روي ولكنها لم تكن تستعملها ، لم ترد أن تترك روي
أبداً لأنها كانت تخشى عليه من أمه التي ماتت ... أجل ، فلقد رأوها ذات مرة تبحث في
إحدى أركان الغرفة المظلمة وكأنها هي تتبع شخصاً معيناً . وكان يحدث أحياناً أن تغفو
قليلاً في كرسيها ، لكنها لا تلبث أن تثب فزعاً وتطوف بأرجاء الحجرة المظلمة باحثة عن
شيء ... كانت الممرضات تلاحظن هذا كله ، فكن يقرن فيما بينهن : هذه المرأة تنساق إلى
حتفها ، فهي تخشى أن تنام ...

و ذات ليلة لاحظت إحدى الممرضات لويس وهي تحدث روي ولم يكن من المعقول
أن يسمعها في هذيانه كانت تقول له « عليك يا عزيزي أن تنساها انها لا تحتاج إليك ، أما
أنا فأحتاج إليك .. » . وقد أخذتها الممرضة من يدها ونصحتها بالنوم قليلاً حتى لا تتحطم
أعصابها .. ولكن لويس لم تنم . بل ظلت تبحث في أركان الحجرة المظلمة ، وبخاصة في
الركن المواجه لروي ...

وفي الليلة التي بلغت فيها حالة روي أشدها ، لم يشاهدها أحد تسير في أرجاء الغرفة .
فلقد خرجت في الظلام الدامس من الباب الخلفي للمستشفى ، وسارت كما يسير الحالم .. لم
تذهب بعربة ، بل سارت على رجلها تتجسس طريقها ... إلى المنزل .

فتحت الباب ثم دلفت في الظلام . لم تحاول أن تنير المنزل ، ولماذا تنيره .. إنها تعرف
المنزل جيداً وتستطيع السير في الظلام .. كان كل شيء في المنزل يكسوه التراب وبدا المنزل
موحشاً وحشة القبور .. وصلت لويس إلى الطابق الثاني ، وكان الدهليز الطويل يمتد أمامها .
وقد أضيء بضوء خافت صادر عن الطريق . وفي نهاية الدهليز رأت لويس الباب المغلق
بالقليل مفتوحاً ... لم تكن وحدها في المنزل ، كان هنالك وجهاً يبدو من الباب دقيقتاً
صغيراً كذلك الوجه الذي كانت تبدو به مسرأليسون في ليلة زفافها وهي تقول « لا شيء
يمكن أن يكون الآن كما كان ياروي ، إنك متزوج الآن » ...

كانت لويس ترتعش رعباً . ولكنها تمالكت وأخذت تحدث الشبح في ذلك الظلام

قائلة .. « ليس في مقدورك يا مسر أليسون أن تفعل شيئاً ... لقد انتهى كل شيء .. انتهى كل شيء .. »

.. كان عليها أن تفعل شيئاً . وكانت تعلم أن من الواجب أن تفعله حالاً .. لم يعد الأمر مراعاة وإنما أصبح سباقاً ، سباق الزمن . لقد جمعت لويس ما استطاعت من الأخشاب ثم ألقت فوقها كميات كبيرة من البترول وفتحت النوافذ ... ثم أمسكت بعود ثقاب وألقته بين الأخشاب .. وأخذت تعدو ، حتى إذا وصلت الى القاعة السفلى نظرت الى السلم ودرجاته وقالت :

« أمل أن تجدي سلاماً . لم أكرهك أبداً أبداً »

ثم خرجت بهدوء . كانت النيران خلفها تتأجج ولكنها لم تنظر وراءها ... كل شيء كان مادياً في الطريق المظلم ، ولم يرها أحد وهي تدخل المستشفى قبيل الفجر في تلك الساعة التي تحقت فيها حركة المستشفى ويسكن كل شيء حتى تأوهات المرضى ... وعندما وصلت لويس الى حجرتها شعرت بما فعلت وكاد أن يغمر عليها لولا أنها تمايلت ... ثم دخلت حجرة روي فألقته أحسن قليلاً ، كانت عيناه مغمضتين ، ولكن المسحة الرهيبة ذهبت عن وجهه . وكانت لويس مضطربة من فعلتها ، كانت تردد « لقد ارتكبت جريمة » لقد « قتلت أم روي » وعندما وضعت يدها على رأس روي تمتعت قائلة « كان علي أن أفعل هذا يا عزيزي . كان علي أن أحطمها » .

كانت هذه آخر عبارة فاهت بها لويس قبيل أن يغمر عليها ، وقد سمعتها المريضة ورأتها وهي تسقط غمليتها الى سريرها .

ظلت لويس في سريرها عدة أيام . وكانت تنام في فترات متقطعة من الليل والنهار ، ولم يكن هنالك ما يبدو لها من الحقائق سوى أن روي يتحسن ، ثم بدأ تفكيرها يصفو قليلاً ، ذلك التفكير الذي ظل نهبة الاضطراب الشديد فترة طويلة من الزمن .

وفي ذات صباح استيقظت فرأت بجانب سريرها الطبيب النفسي الذي ذهبت لاستشارته من قبل . كان الرجل يبتسم لها ، وكان يملؤها الغمور بأنها أمام القاضي ، القاضي الطيب القلب ، الذي سيحكم على فعلتها ، فأما ردها الى الأمل أو أطاح بها الى اليأس .
— أعتقد أنك عرفت ماذا فعلت أنا .

— ما الذي فعلته ؟

— لقد أحرقت المنزل .

نظر إليها الطبيب وقد فاجأته المريضة ولكنه ما لبث أن ابتسم ثم قال لها « حسناً .. حسناً .. »

— .. أجل ، كان عليّ أن أفعل هذا .. فقد كانت المرأة هنالك ..

فقام الطبيب الطيب ثم أمسك بيد لويس ونظر الى أظفارها المشققة والى آثار عشر سنوات من الذل والخوف وقال لها بهدوء .

« لويس .. هل كنت تعرفين أن هذا الباب الذي استعصى غلقه لم يكن إلا رمزاً خصب . عند ما كنت تغلقين الباب كنت ترمين من وراء ذلك إلى نسيان الحجرة بآلامها ، ولكن الباب لم يكن ليغفل ، أو بعبارة أخرى لم تستطعي أن تنسي الحجرة وآلامها .. » وكانت لويس تنصت الى الطبيب بكل متمعن . ولما انتهى من كلامه سألته « أنت تعتقد إذاً أنني كنت متخيلة كل هذا ، أليس كذلك ؟ !! »

ولكن الطبيب لم يجبها في الحال وإنما قال في حذر « لم تكن كل مخاوفك أوهاماً ولكن معظمها .. » ثم ربت على كتفها ونظر إليها مبتسماً « المهم يا لويس ، أنك كنت تملكين الشجاعة التي بها حطمت أوهامك . وكم أنني لو أن كثيراً من مرضاي البائسين يملكون هذه الشجاعة ... »

وخرج الطبيب العظيم فاستلقت لويس على ظهرها وقد اطمأنت ، فالفاضي الكريم لم يحكم بأداتها .

... لكن هل من الممكن أن يكون هذا الباب رمزاً خصب ؟ .. أنها لتغفل عينها فترى باباً طويلاً أبيض اللون ذا مقبض نحاسي أمضت منيها هي وما بل ترعى لمعانه ونظافته ولقد ظلّ الباب مفتوحاً ، وكان وراءه .

... ولكن الآن كل شيء قد انتهى ولويس لا تشعر بوخز في ضميرها ، بل تنظر الى المستقبل بعين الأمل . ستقول لروي كل شيء ، ولكن ليس في هذا الظرف . بل عند ما يستعيدان صحتهما .

وفي مساء هذا اليوم أحضروا للويس زوجها وكان يجلس على كرسي ذي عجلات .. شعرت لويس أن الحائل بينها وبين روي قد زال الى الأبد ، وإنها لتحنو عليه بابتسامة امرأة أصيبت وقاست وضحت .. وأخذ روي يذني كرسيه بنفسه حتى لاصق مرير لويس وكان يبدو نحيلاً جداً ، ولكن ثمة تغير في وجهه فقد عادت إليه نظراته القديمة الصاحرة .

قال روي لمرضته « اخرجي الآن .. فانها زوجتي ولو كان في مقدوري أن أقف وأمل إليها ، فإنني أتحرق شوقاً إلى تقبيلها ... »

وكانت لويس تنظر وتبتسم ، كانت ابتسامتها تنطق بالحب وكانت أيضاً تنطق بالحنان . ماذا لو أن روي نفى ؟ . لقد فطر الرجال على نسيان الماضي ، أما النساء فيذكرن الماضي دائماً . الرجال يبنون بينهم وبين الماضي حاجزاً كثيفاً ، ولا يتنهبون حتى إلى محاولتهم النسيان . والآن لقد استطاع روي أن يحيط لويس بذراعيه ، وها هو ذا يسك بها بشدة وهو يردد :

« عزيزتي .. عزيزتي .. » لقد عاد روي القديم بعينه .

— عزيزتي ، يجب أن نخرج من هنا سريعاً فإن أماننا أشياء كثيرة يجب حمايتها . وإنني لأسف إذا أنهى إليك أنباء سيئة .

— أنباء سيئة ؟ .

— أجل : المنزل القديم قد ذهب أثرأ بعد عين .

وكانت لويس تلاحظه باهتمام بالغ .

— إنك ولا شك ستفقد شيئاً كبيراً . يا روي ! أليس كذلك ؟ .

— أنا ؟ أبداً . يا للجحيم ، لقد كاد هذا المنزل أن يقتلك .

... المنزل ، وليست أمه ، التي كادت أن تقتلها — ولكن هذا لا يهم الآن .

لقد بدأ روي يبني لنفسه حاجزاً كثيفاً أمام الماضي ، ونسأه إلى الأبد «

— أجل يا عزيزي ، لقد كاد المنزل أن يقتلني .

ومال روي عليها وقبلها قبلة طويلة « إننا كلانا معاً الآن . يا الهي عند ما أخبرت

بمرضك »

كم تراه قد علم من ذلك الماضي ؟ كم تراه قد علم من ذلك الصراع الطويل بين أمه وزوجته ؟ أنها لن تعلم منه شيئاً لأنه قد نسي كل شيء . وانها أيضاً لن تذكر شيئاً عن الباب الكبير اللهم إلا أنه لن يفتح مرة ثانية .

فؤاد عوض واصف

ليسانسيه في الآداب والفلسفة

أبو العلاء المعري

فلسفته وأدبه وقوة ذاكرته

إذا قلنا أنَّ أبا العلاء كان فيلسوفاً لم نرد بذلك إنه أحدث في عصره مذهباً فلسفياً جديداً في مباحث الاجتماع ، أو الدين ، أو السياسة والأدارة أو ما وراء المادة ، أو قُوى النفس البشرية ، ولاكننا نريد أنَّ له مشاركات حسنةً في نواحٍ فلسفية نمت عليها آثاره الطيبة نظماً ونثراً وأيدها عملياً بسيرته في حياته فهو من هذه الجهة الحكيم كل الحكيم على نهج سقراط وأفلاطون اليونانيين وكنفوشيوس .

وأما أدبه فقد كان ناضجاً واسع النطاق يعدُّ نغماً وتشريعاً للأدب العربي يوم كان الناس لا يكادون يفقهون من معنى هذا الأدب إلاَّ أبواباً محصورة أشهرها باب الغزل وباب المدح حتى قال البيوردي :

قالوا تركت الشعر قلت ضرورةُ بابُ البواعث والدواعي مغلقُ

خلت الديار فلا كريم يرتجى منه النوال ولا مليح يعشق

هكذا كانوا يقولون ويعتقدون ، مما يحسب وصمة عار وتقصير وتشويه في وجه الأدب العربي لو لم يتداركه من أهله حيناً بعد حين أفراد قليلون يغسلون عنه هذه الوصمة ويكذبون أصحاب ذلك الزعم بما يتناولونه من مباحث قيِّمة مختلفة بعيدة الآفاق وفي طليعة هؤلاء الفحول الكرام أبو العلاء المعري فقد تناول أغراضاً جمة نبيلة ولم يجعل للمدح والغزل من قريحته إلاَّ نصيباً ضئيلاً . أما المديح فلاخوان له وفضلاء كان يقارضهم الثناء وعلامات الرضى والاعجاب . وأما الغزل فقد ورد تحت أسلة قلعه عفيفاً خفيفاً كما ينتظر من أخلاقه وسيرته . ومن هذا الباب قوله :

زررنا على غير الفواحي قصنا فلم نستعز إلاَّ الذي هو أجورُ

زنت أعينُ منّا وعفت ضمائرُ فبقنا وأيدينا عن اللمس تحجرُ

وقوله : منك الصدود ومنى بالصدود رضى من ذا عليّ بهذا في هواك قضى
 بي منك ما لو غدا بالشمس ما طلعت من الكآبة أو بالبرق ما ومضا
 إذا الغنى ذمّ عيشاً في شبيبته فما يقول إذا عصر الشباب مضى
 وقال أبو العلاء ذا كراً ما للحظ من سطوة وسيطرة :

لا تطلبنّ بغير حظّ رتبة قلمُ البليغ بغير حظّ مغزل
 سكن السماء كان السماء كلاهما هذا له رمح وهذا أعزل
 وقبله قال أبو الطيب المتنبي (والجد بفتح الجيم هو الحظ)

هو الجد حتى تفضل العين أختها وحتى يكون اليوم للامس سيدا
 كما قال أيضاً في قصائده الكافورية :
 ومالك تعنى بالأسنة والظي وجدك طعان بغير سنان
 وجاء بعدها من قال :

وإذا السعادة رافقتك عيونها ثم فالتخاوف كلهن أمان
 واصطد بها العنقاء فهي حباله واقتد بها الجوزاء فهي عنان
 وقال أحد الأدباء الفرنسيين : « إذا استندت إلى استحفاك وحده في الرقي والنجاح
 نكت من آلام الخيبة أشكالا وألوانا » .

ومن مختارات شعر أبي العلاء ما كان متعلقاً بدقة شعوره في حنينه إلى أوطانه وإخوانه
 قال في هذا الباب متشوّفاً وكان لم يزل في بغداد ضيفاً على الخليفة العباسي القادر بالله . وقصره
 في محلة من تلك العاصمة تسمى الكرخ .

متى سألت بغداد عني واهلها فاني عن أهل العواصم سألت
 إذا جنّ ليبي جنّ لي وزائد خفوق فؤادي كلما خفق الآل
 وماء بلادي كان أنجع مشرباً ولو أن ماء الكرخ صهبا جريال
 فيا وطني ان فاتني بك سابق من العيش فلينعنم لسا كنك البال
 فان أعتطع في الحشر أتك زائراً وهيئات لي يوم القيامة أشغال

وقال وهو في تلك الحالة وكان الفصل على ما يظهر فصل شتاء أو ما يجاور هذا الفصل وقد سمع صوت الرعود وعلم أن البروق تصحبها :

أيا برق ليس الكرخ داري وأما رماني إليه الدهر منذ ليالٍ
فهل فيك من ماء المعرة قطرة تغيث بها ظمآن ليس بسالٍ

قالوا إن الخليفة ممعه يردد هذين البيتين بصوت خافت فأمر خفية بعض خدمه أن يعمدوا قافلة صغيرة تذهب بهم إلى المعرة فيحضرُوا إليه مقداراً من مياهها العذبة ففعلوا . وفي صباح وصولها جاء الغلام الموكل بخدمة أبي العلاء وملاً منها كوزه ووضعهُ في المكان المعين له من غرفة الشيخ والشيخ لا يدري شيئاً من ذلك ثم دخل الخليفة على ضيفه بعلة المؤانسة وفي أثناء جلوسه عطش أبو العلاء فنهض متحسماً حتى بلغ الكوز فما جرع منه جرعة واحدة حتى رفعه عن فيه وقال للخليفة متنهداً : « جزاك الله خيراً يا أمير المؤمنين هذا ماؤها فأين هواؤها » فتمعجب الخليفة وأجابه مبتسماً : « أما الماء فقد وصلت إليه قدرتنا وأما الهواء فلا تصل إليه قدرة بشرية »

وهذه إحدى النوادر التي تروى عن أبي العلاء وهي كثيرة وأخبارها مستفيضة وعلى استفاضتها، يدعو في سياق البحث أن أشير إلى بعضها . قالوا : لما كان في حلب أنشد شعراء الشام مختارات من منظومهم فحكم لأحدهم بالتفوق وقال له : اذهب فانك أشعر من في الشام . وبعد بضع سنوات كان أبو العلاء في بغداد فجاءه شعراء العراق وأنشدوه مختارات من منظومهم وبينهم ذلك الشاعر الشامي وكان قد أتى بلادهم لتعاطي بعض الأعمال وأبو العلاء لم يعلم بحضوره فلما أنشد عرفه من نعمته فقال له عند فراغه « ومن في العراق » يريد بهذه العبارة عطفها على عبارته السابقة منذ سنين يوم قال له نشد « اذهب فانك أشعر من في الشام » ولما خرجوا سألو الشاعر عما قصده ضيفهم العظيم بعبارته فسرد لهم الخبر فقضوا من ذلك عجباً .

ومما روى عنه أن شاعراً جاءه بقصيدة لكي ينقحها له بقصد أن ينشدها مدح فيها بعض الأعيان آملاً أن يأمر له بصلاة وبعد تنقيحها أخذها واستأنف طريقه فسقطت من يده في النهر وغرقت، فعاد الرجل مكروباً، وكان أبو العلاء جالماً على باب الدار فذكر له ذلك

الحادث، فقال له لا بأس عليك هات قلماً وورقاً ودواة، ففعل ثم أملى عليه القصيدة فأخذها وانصرف وانتفع بها .

ومن تلك النوادر أن رجلين يهوديين اختلفا في قضية حقوقية وادعى أحدهما أنه أقرض رفيقه كذا من المال، فأذكر رفيقه الدعوى وليس له عليه بيّنة، ولا وثيقة خطية فسألها القاضي ألم يسمعكما أحد حين اتفقتما على القرض قال المدعي كان يشرف علينا من نافذة الشيخ الضرير أبو العلاء، فاستقدمه القاضي وسأله، فقال: انهما تكلمتا بالعبرانية وأنا لا أفهما ولكنني أحفظ شيئاً من كلامهما فخاؤوا برجل عربي يحسن العبرانية وروى أبو العلاء ماعلق بهذا كرتة من الكلام العبراني فإذا به يدل على صحة دعوى المدعي فحكم له بالمال .

فلنا إن قوة الذاكرة إلى هذا الحد تحسب من عجائب الدهر وأعجب شيء فيها إذا كانت قد رافقت أبا العلاء في شيخوخته وهذا الطور من العمر تضعف فيه الذاكرة وإن اشدّت وظيفة الإدراك وحسن التمييز .

ويظهر أننا نحن رجال القرن العشرين من أبناء الأمة المصرية لا نقل عن شيخنا المعري في منجزة قوة الحفظ وقوة الذاكرة إذ لم ننس فضله ومناقبه ومحاسن أقواله بعد مرور ألف سنة على عهده . ولكن افتخارنا من هذا التجميل ينقلب علينا عاراً وشناراً وحبّة دافعة إذا لم نحتذيه حسب جهد كل منا في فضائله ومآثره ولا سيما في غيّه على الحق والصواب والمصلحة الإنسانية العامة . وما أجدر خاصتنا أن تقتبس من منهجه فضيلة التواضع الحقيقي ومن ورائها نبل وعزّة نفس حتى يصح أن يقال في الواحد منهم ما قاله أبو عبادة البحتري في إبراهيم بن المدبر أحد أعيان زمانه :

ذنوت تواضعاً وبعدت قدراً فشأنك انحداراً وارتفاعاً
كذلك الشمس تبعد إن تسامى ويدنو الضوء منها والشماع

اللاذنية : سورة

الروار مرقص

عضو المجمع العلمي العربي

المجنونة الشريفة

«الاشاعة»

تجري هناك وها هنا تجري وتلهث في وني
واذا استراحت برهة عادت لتطرد أمنا
الجبن أنجبها وربتها الطغولة يئنا
خلقت من الضوضاء فهي ترُوع أفئدة لنا
ومن الخرافة والذكاء ومن ضياع للمنى
ومن التخيل فهي كالأحلام وهم للجنى
وبرغم فطرتها تحيد الهمس فتنا متقنا
فتزيد من دعر الانا م وقد يوطد ديننا
ما بالها رأت (الكنا نة) لا تضارع موطننا
وأخافها الفقر العميم وإن يكن هو ضيقنا ؟
ما بالها عدت حكيمة عصرنا بل حكنا
ما تدعيه هو الصواب ولو تناول ذلنا ؟
كم هدمت روح العلى فينا فأمضت هدمنا
هيهات أن يفني السلاح لمن تهيب أو عنا
والروح ان هزمت فما للشعب ان يتحصنا

والروح إن سلمت فما تكفي الجراح ليدفنا

*

* *

قابلهما مجنونة تجري هناك وها هنا
وبرغم صورتها يقدر س زعمها من أمنا^(١)
ولربما لبست مسح الرشد تخدع من رنا
حتى تراود عقله فيرى الضلال ممكنا
ويظل يحمدها ويمنحها الكرامة والسنا
فهل الجنون جنونها أم في البرية حولنا ؟

*

* *

لو أن للصدق النفو ذ لما أصابت مسكنا
لكنا الكذب المسو د بيننا قد خاننا
بين المخاوف والتوهم والسقوط أدالنا
فترعرت وتعددت حتى لتحسب أمنا
وتحالف المجرمين ومن أباحوا نهينا
وتناهت الفوضى بها وغدت تعد لنا الفنى
فلمن أكون محدراً ؟ ! لمن أجرحها أنا ؟ !

دكتور

احمد زكى أبو سارى

(١) أمنا : قال أمين

كيف تكتب ؟

من كتاب المرشد "لجود"،

The Bookmark C. E. M. Joad

قيل أن الكتابة مهنة صعبة وتحتاج الى مهارة ، ولا يستطيع ممارستها إلا أولئك الذين تفقوا فيها ، وتعمقوا أسرارها .

ولكنني أرى أن الرجل العادي ، يمكنه أن يجيدها ، إذا أجهد نفسه في الاعراب عما يفكر فيه بوضوح — ولكن العاديين من الناس ، لن يحاولوا ذلك ، لاعتقادهم الثابت ، أن الكتابة تختلف عن المحادثة ، فالمحادثة تؤدي المعنى ، أما الكتابة فتخلق ما يسمونه بالتأثير الأدبي .

وترجع علة هذا الاعتقاد ، الى أمرين : أحدهما أن كثيراً من المؤلفين ساروا على أن الكتابة فن ، فن بالمعنى الذي نجده في رسم الصورة ، أو الوضع الموسيقي الاصطلاحي . والآخر الثاني ، أن كثيراً من الصحفيين ، يزعمون ، أن الكتابة ، لا بد أن يشع منها البريق ، أو تلمع فيها الفسحة ، أو تثير النشاط ، والكاتب في الصحافة . ينبغي أن تكون ألفاظه مؤثرة غير مرتقبة ، مليئة بالتأكيدات ، ليضفي ثوب الأهمية على الأحداث ، ولا يبالى العمق ، وإنما التأثير في المشاعر ، وهذه السمات لا تتفق مع شعور الكاتب الأدبي الخالص ، والكاتب الصحفي بدلاً من أن يقول : « جلست القطة على السجادة » يقول : تمددت ، القطة — جريماً لكي ، في ملاحه ، وأخذت تموء مواءً يمين عن الرضا المأثور ، وربضت على سجادة غميئة ملونة من طراز يفصح عن الشرق ، وعجائب ألف ليلة » ١

ومثل هذا التعبير ، ردىء ، وجاف ، ومجرد عن البساطة ومخالف لأصول الكتابة الجيدة وما ريب ، أن الكتابة فن حقاً ، ولها اصطلاحاتها ، وطريقتها ، وكلماتها المتخيرة ، وأسلوبها في الانسجام والوزن ، ولكن لا يجوز أن نحصر كل اهتمامنا في طريقة القول ، دون القول ذاته ، ولا يجوز لنا في هذا العصر ، أن نجاري أدباء القرن الماضي ، الذين كان يعتقد أكثرهم أن الأسلوب الكتابي له قيمة ذاتية مستقلة عن المعنى ، ومن بين هؤلاء نذكر جماعة « المنحطين » وعلى رأسهم أوسكار وايلد ، على حين نجد أن البعض الآخر من أدباء القرن الماضي ، كانوا لا يرون هذا الرأي ، فكان صمويل بطليق يقول :

« لا أعرف كاتباً مقروءاً ، يجهد نفسه ، أقل اجتهاد من أجل الأسلوب » . وهنا ، قد يسأل إنسان عن منزلة الأسلوب الموسيقي الهاز ؟ والأسلوب الموسيقي ، لا غبار عليه إذا جاء طبيعياً ، وكان ثمرة من ثمرات الفكرة الأصلية ، أما اصطناع مثل هذا الأسلوب ، والسعي إليه ، فإنما هو سعي إلى الادعاء والتصنع .

ويقول هازليت ، وهو من أساتذة الفكر الانجليزي : « لكي تكتب كتابة سليمة ، عليك أن تكتب كما يتحدث إنسان حديثاً عادياً ، على أن يكون إنساناً لبقاً ، له قدرة على اختيار ألفاظه ، والهيمنة عليها ، أو كمن يتحدث في سهولة وقوة واشراق ، تاركاً جانباً التعالم والحذقة » وأريد أن أقول ، أنني لم أفكر قليلاً أو كثيراً في أسلوب ، ولا أعرف إن كان لي أسلوب أولاً ، ولكنها الجماسة هي التي ألوذ إليها ، ولن يفكر رجل في أسلوبه دون أن يضع نفسه وقراءه !

ويحسن ، اذن ، أن لا نجاري بحبي الريق ، والتنميق ، وأن لا نسير الصحافيين في سطحياتهم ، وعلينا ، قبل أن نخط حرفاً ، أن نقسم ، أن لا نعبر إلا عما نقوله تماماً ، أو نتحدث به ، في لفظ سهل بسيط ، يوصل الى الغاية . أو الى المعنى المنشود .



وكل من يهوى في الكتابة ، عليه أن يحتفظ بفكرة لتسجيل خواطره اليومية ، لأن كتابة اليوميات تعود الكاتب الكتابة في صدق ، وأسلوب طبيعي ، لا أثر فيه للتكلف أو التصنع ، ومن نماذج هذه اليوميات ، مفكرة الكاتب الانجليزي الشهير صمويل بيبيز Pepys وهو من أعظم كتّاب اليوميات ، وقد كتبها بأسلوب شخصي فريد ، لا بأسلوب . مزركش منمّق ، فهي واضحة وطريقة وقوية .

وعلى الكاتب ، فضلاً عما تقدّم ، أن يتوخى العذوبة والايجاز ، والاصالة ، بقدر المستطاع ، دون خوف من التعبير عن نفسه تعبيراً طبيعياً

وليست هناك قاعدة ذهبية للكتابة الجيدة ، كما أنه ليست هناك قاعدة ذهبية للعيشة الطيبة ، وقد يخرج الكتّاب العظيم على جميع القواعد ، ويختط لنفسه طريقة . وبعد من الكتّاب العظام .

وأعود الى القول ، بأن جمال الالفاظ وموسيقاها ، لها قيمتهما ، على أن يأتيا عفواً ودون عمل ، وكل مجهود يبذل لتجميل الالفاظ ، وتنسيق موسيقاها ، فهو جهد غير مثمر

علة الفاقة

الفاقة علة اجتماعية تحلّ بالفرد كما تحلّ بالدولة وثبتت ضرورها أينما طاب لها المستقرّ .
ومن المؤسف حقّاً أن العالم في تاريخه الطويل — وقد تجاوز في عرف علماء الجيولوجيا
ملايين السنين — لم يسلم من هذا الداء ، ولم نعرف عهداً جاء خلواً من علة الفقر ، ولم نسمع
عن بلاد نعمت ، ولو في آونة من حياتها ، برخاء شمل الجميع وعمّ أرجاءها بغير استثناء .
فهذه العلة إذن ذات صفة عالمية أئمة — لا قومية وطنية — تنتشر في كل حقبة
وفي كل بقعة حتى ليسع المرء أن يقول أن الأقار والنجوم لا يمكن أن تنجو من داء الفقر
إذا ثبت أن فيها كائنات حيّة .

واليوم ، يعترض العالم بعد حرب ضروس طحنت المدنية ستة أعوام ، ودكّت حصون
ال عمران كالرّحى ، وأبادت نفوساً تقدّر عدتها ببضعة ملايين قد تتجاوز الخمسة ، واستنزفت
الذهب والفضّة وموارد الانتاج ومواد الطعام والثروة الحيوانية ، يعترض العالم خطر
استنفحال علة الفاقة واستمراء داء العوز في القارة الأوروبية بوجه خاص ، وفي بقاع العالم
الأخرى عامة ، وجهود المصلحين منصرفة الى هذا الاتجاه ، روم أن تضع اليد على موطن
البلاء لتعمل على اجتثاث جذوره وقطع دابرّه . فن قروض يعقدها خازنو المال للشعوب
المفتقرة ، ومن إسعاف في الغذاء والملبس يرسل على عجل الى أفطار أوروبا ، ومن مشروع
يصممه الوزير الأميركي مارشال ويشذبه اقتصاديو أوروبا ويقتضيه جمهوريو أميركا ابتغاء
الآخذ بنصرة البلاد التي تهالك تحت وطأة الحرب وغدت في حالة هي بئس الحالات .
ولكن الباحث لا تأخذه المظاهر ، ولا يستهويه معسول القول ، فهو إذا أمعن في

التفاؤل وسلم تسليماً أسمى بأن المدد سينزل كالغيث المدرار من الدنيا الجديدة على الدنيا
القديمة ، وأن أوروبا لن تبرح حتى تصبح موفورة الغذاء مشمولة بالسخي من الكسبي ،
مغدقاً عليها بمال قدروا قيمته باثنين وعشرين ألف مليون دولار ... إذا سلم الباحث
بكل ما ترويه وكالات الأنباء من أخبار الغوث والعون ، فهو لا بدّ سائل نفسه : « أفى
هذه المساعي قضاء على الفاقة وقطع لدابر السغب ؟ وهل حان للعالم أن يتنفس الصعداء ويرفع
عن صدره كابوس الفقر الذي جثم عليه منذ حلّ البثمر بأرض ؟ » .

يقول العالم الاجتماعي منجولد إن الفقر شرّ جميع علل المجتمع فهو يحطم الحياة بأن يدفع الناس إلى الجريمة وإلى الشذوذات الاجتماعية ويورط العائلات في مشكلات خطيرة الذي، ويفضي إلى اضطرابات اجتماعية من كل نوع. والفاقة تؤدي إلى السغب وإلى القصور العقلي وإلى أمراض قد لا يستطيع دفعها وإلى تدهور صحي بدني.

تلك هي نتائج الفاقة، ولكن كيف تنشأ، وما هي أسبابها؟

هناك أسباب مباشرة وأسباب غير مباشرة تعمل متجمعة أو متفرقة على خلق هذه العلة.

١ - وأول سبب مباشر للفاقة هو نقص الإنتاج وقصوره عن الوفاء بحاجة السكان. وروية الشعب كما هو مألوف معروف تقاس بمدى ما تنتجه البلاد من سلع وما يؤديه أهلها من خدمات. فإذا اتبع النظام العلمي في تقدير روية البلاد، واتبع النظام العلمي في الظفر بالعدد الصحيح للسكان أمكن معرفة نصيب الفرد من الثروة القومية، وتسنى من هذه النتيجة الحكم على مدى كفاية الإنتاج أو قصوره.

ويقصر الإنتاج عادة عن الوفاء بالحاجة إذا كانت الموارد تعاني نقصاً كأن تكون التربة غير خصبة، أو تفل الأرض غلة قليلة، أو يقتصر الزارع إلى آلات الصناعة الحديثة التي تستخدم في الحقول، أو يكون المنتج غير ملمّ بالمأما علمياً تماماً بوسائل استنباط أقصى حد ممكن من الثروة الطبيعية، أو لسوء الأحوال الجوية، أو لتخلف الشعب عن متابعة النهضة الحديثة، أو للعجز عن القضاء على الحشرات المهلكة للنباتات أو الحيوان. وجميع هذه العوامل لا تصيب إلا الشعوب التي لا تزال سادرة في غي الجهالة يخيم على عيونها عمى البصيرة وتعجز عن استبدال المحراث الخشبي القرعوني بآلات حرث ترفع سافل التربة وتدفن في بطنها أهلها. فما لا ريب فيه أن الدول التي استعانت بالآلة وأسرفت في تجميعها، لم تعد تشكو من علة نقص الإنتاج، وإن كانت هناك علل أخرى تبعث على الجأ بالشكوى.

والتقدم العلمي إذ يتضافر مع المال والأيدي العاملة يستطيع أن يستغل مورد الإنتاج إلى أقصى ما يمكن. ولذلك ينبغي على الدول التي هجرت الآلة عن وعي أو عن غير قصد، أن تستعين بها، فهي معاون على تذليل الشدائد، وأداة تتضاءل أمامها عوامل الطبيعة.

٢ - وثمة سبب مباشر ثانٍ يفضي إلى استشراء علة الفاقة واستفحال خطرهما وهو:

القصور الفردي الذاتي.

فإذا تعذر على الفرد أن يقتني من ضرورات الحياة ما يسد به رمقه ويطعم به أفراد عائلته كان في هذا نذير بدو خطر آفة الفاقة. وأسباب قصور الفرد كثيرة، فقد يكون تخلفه ناجماً من سذاجة تفكيره، أو من إصراره غير العقلاني في أبواب لاجدوى من ورائها،

أو من نقص في التنقيف والتدريب ، أو من عيب بدني لا حيلة له فيه ، أو من علة ورثها الابن عن أبيه .

وعلاج هذا القصور الذاتي يتفاوت بتفاوت الحالات الفردية ، فالجاهل يمنح فرصة للتنقيف ، والمريض تهيأ له وسائل العلاج ، وذو العاهة يعنى بأمره في مرافق الدولة الخيرية (كالملاجئ والمستشفيات) والمنكب على لذات تستنزف ماله بغير فطنة يُرشد إلى طريق الحكمة ، ليدخر قرشه أو لينفقه في ما يؤول للبناء لا الهدم .

٣ - ومن الأسباب المباشرة المنفضية إلى تقادم مشكلة الفقر ، الاهتمام بالذات وحب النفس . فالإنسان يحب لذاته بفطرته ، أناني بطبيعته ، ولكن التنقيف والبيئة والمعادن المكتسبة ينبغي أن تحدد من سطوة العاطفة الانسية الذاتية ، وتجعل أعمال المرء لا تدور حول محور ذاته ، بل حول محور أوسع وأشمل . وحسبك أن تعلم أن سيطرة الانانية على الأفراد والجماعات في صباق الحياة من شأنها أن تنشئ منازعات ولطاحناً قد يؤول في منتهاه إلى مضرة الفريقين المتبارين . فالإفراط في التزاحم والتباري للمصالح الذاتية الخاصة يهدد بأن يستصحب في ركابه الفاقة التي تلقي شباكها على طبقات بأسرها لا على أفراد متفرقين . وحيثما كانت الثروة العامة قادرة على سد جميع الحاجات ، فإن الفاقة لا تجد منفذاً تتسلل منه إلى ذلك المجتمع السعيد إلا من ثغرة حب الذات والائثرة ، فهي طريق مضمون النجاح . وما كوارث الاقتصاد التي تنزل بالدول نتيجة المباراة في الانتاج وضمير الأسواق إلا مظهر من مظاهر تغليب المصلحة الذاتية الخاصة على المصالح العامة .

ولتردد بعد ذلك مع العالم الاجتماعي منجولد لندرس الأسباب الثانوية التي تؤول إلى الفاقة والتواكل . وهذه الأسباب تكاد لاكثرها وتعددها تحمل عن الحصر . وإذا تبسّر حصرها فإن بسطها ولو بإيجاز كفيف بأن يستوعب فراغاً كبيراً من دورية شهرية كالمقتطف ١ - وفي أول القاعة نجد كلمة « الحرب » مكتوبة بالخط العريض ، وهي كلمة لا تغيب عن الذهن في الجيل الحالي والمرجو أن يسلم من شرها ما يتلو ذلك من أجيال وقرون ، وتلك أمنية ترددها شغاف السائمة من سكان العالم ، ولكن أقطاب السياسة « وتجار الحروب » لا ينفكون يهددون بالاجوء إلى الحرب ويتوعدون بالتلميح والإيحاء والاشارة بالنزول على إرادتها وإخضاع الأبي بالعنف حين لا يجدي المنطق والفطنة .

والحرب على العموم نتيجة مباشرة أو غير مباشرة للصراع الاقتصادي بين الأمم . وغالبية الحروب التي ألغها العالم حتى اليوم شنها قادة على قادة آخرين مستخدمين الشعوب كأداة حقد وضغينة تواصل النضال مضحية بالأرواح وندي الدم . وقد صوّتت مشكلات

كثيرة بغير حرب ، بيد أن معظم الحروب إن لم تكن جميعها لم تحل مشكلة واحدة وإن كانت قد خلّفت وراءها طائفة من مشكلات واضطرابات يُعني إصلاحها البشر ، ويعجز جيل واحد عن إزالة آثارها . فالحرب لا تزيد في جوهرها على كونها إظهاراً لقوة الفريقين المتنازلين يريد كل منهما أن يسفر بقوته ويبرهن على أن له السيطرة في الجاه على من دونه . والحرب بما برحت منذ عرفها الإنسان سبباً من أسباب العوز والمسخة ، ولا تخرج منها الدول المتقارعة إلا وقد أثقلت بالدمار والخسائر وبددت ثرواتها ، وزاد عدد المشوهين الذين لا يصلحون للسلم ولا للحرب . وسواء كتبت الحضارة للمحاربين أو ظفروا بالنصرة على العدو ، فالنتيجة التي لا مهرب منها هي أن الفريقين يخسران ، وإن أربت خسارة أحدهما على خسارة الآخر .

والنتيجة الأولى التي تنحسر عنها الحروب هي إبادة الثروة وإفناء الممتلكات ، ودك العمران ، وما نشبت حرب إلا وكانت خطراً يستنزف ثروة الشعوب ومواردها ، ويحول معداتها من مناجل للحصد وآلات للنسج إلى أسلحة قتال ومصانع ذخيرة وقنابل . أما وقودها ، فهو كل ما تملكه البلاد من مال وجاه ، وموارد ورجال تلقى في آتونها فتلتهمها النار ولا يبقى منها حتى الرماد المذرو . وسواء اشتركت الأمم في الحروب أو اكتفت بالتأهب لها ، فلن تنجو من الفقر والعوز ، لأنها مضطرة في الحالة الثانية إلى اعداد الجيوش والاتفاق على البحرية وانتاج السلاح والنهوض بأعباء المحاربين القدامى . وهذه جميعاً أبواب في الميزانية ترصد لها مئات الآلاف من الجنيهات لتضيق هدرأ ، مع انه كان في الطاقة استغلالها في رفع مستوى المعيشة أو مكافحة الأوبئة أو إغاثة الملهوف أو إيواء المنكوب في حادث ، وما إلى ذلك من الخدمات النافعة المجدية

٢ - واكتظاظ البلاد بالسكان سبب آخر من الأسباب غير المباشرة المنفضية الى الثقافة فإذا تعذر على البلاد أن تجد منفذاً للفائض عن طاقتها من السكان ، أو إذا عجزت عن انتاج ملع حيوية تكفي للنهوض بحاجاتهم وتهيئة وسائل العمل والمعيشة لهم ، فهي أمام أحد أمرين : إما أن تنهض نهج هتلر ورصيفه موصوليني ، فتطالب عملياً بجمال حيوي ، وإما أن تجد نفسها في هوقة تزداد عمقاً من العوز والفاقة .

ومصر اليوم على ما يقول استاذنا الدكتور وندل كلياند في كتابه « مشكلة السكان في مصر » مكتظة بالسكان وغدت أرضها تضيق اساكنتها ، فلا غرو إذا كانت هذه الحالة من الأسباب القوية في تعزيز دعائم الثقافة بين ضفتي النيل ، ومن الاعتبارات التي ينبغي أن يوجه إليها أولو الشأن مزيد عنايتهم .

ويقول رجال الاجتماع ان النسبة بين عدد السكان ومقدرة الانتاج ينبغي أن تكون نسبة محفوظة ، فلا يصح أن ينمو عدد السكان عدواً كالارنب ، ويحبو الانتاج زاحفاً كالسلاحف ثلثاً تنفجر الثغرة ويعز العلاج . وتلك هي النظرية التي كان مالتوس Malthus فضل كشفها ، وثبت أن أبا العلاء المعري توصل إليها قبله وصاغها شعراً رائعاً .

٣ - وهناك سبب ثالث غير مباشر يقود الى الفاقة وهو الافتقار الى التنظيم الصناعي . وللتنظيم الصناعي ركنان ركينان ينبغي أن يعهد الى اخصائيين فطاسيين في الاشراف عليهما وهما ركننا رأس المال واليد العاملة . ويدخل في نطاق « رأس المال » الأعداد الآلي الحديث والتنظيم الاداري السكف وتهيئة الاحوال الصحية الملائمة . فإذا نظم هذا الجانب مثلاً وأغفل جانب العمال عملاً بالمبدأ الاقتصادي المعروف Laissez Faire ، كان ذلك مدعاة الى تسلسل الفقر الى الميدان لأن النظام الاقتصادي لا يستقيم حتى تموز جميع أركانه وتقوى جميع دوائمه ، وإلاّ إسهار الصرح وخلف ضحايا كثيرين تقترسهم الحاجة وتنهش أبدانهم علل الفقر .

٤ - وثمة أسباب أخرى لا معدى عن سردها إجمالاً ، وهي الغش والتزوير والسرقة والافراط والمغالاة في الربا والعادات الشخصية المرذولة كادمان الخمر واعتياد العريضة الجمبة ورفض العمل والمرض والعجز الجسماني والجهل والفساد وتسخير الصبية في الأعمال في المصانع وحل المنشآت وخيبة الزواج وتقدم السن والخيانة ... جميع هذه عوامل تقضي الى الفقر بصفة غير مباشرة . وقد يتسبب تكاثرها وتكالبها على بلد بعينه في إنزال كوارث اقتصادية في صميم كيانه .

تلك هي الاعتبارات التي من شأنها نشر علة الفاقة في العالم ، وإذا أريد مكافحة الداء العضال فلا معدى عن بحث أصوله وفروعه والعمل على إيجاد دواء لسكل داء .

ويكاد العالم يكون اليوم — بعد حرب كونية أعملت في المدنية بقنابلها وقذائف مدافعها وصواريخها وذراتها وطوربيداتها وغواصاتها وفدائيتها وقازاتها السامة ونفائات لهبها ورادارها وماخزات عباب البحر ومتن الجو — فريسة سائفة لجميع العوامل التي تهيء للفاقة مرتعاً خصيباً ، فان لم تتضافر الشعوب والحكومات بمد ثريها يد العون الى فقيرها ، ويحمل القوي ضعف الضعيف ، فلا أمل يرجى في إصلاح العطب ، ولا خير في هيئة أم تلتحم فيها الاسنة بالجدال ، وتضرب قبضات أيدي الأعضاء منصات الخطابة ضربات حامية وحيوية ، ولا مطعم في رخاء يشمل أركان المسكونة الأربعة وينعم في ظله البشر برغد وبحبوحة .

أمراض العيون

العين وتركيبها ، كيفية الابصار وعدم الابصار ،
تأثير الهواء والصدمات ، أمراض الجفون والملتحمة ،
الرمم الصيدي والحبيبي والريفي ، الدفتري (الدفتريا)

هذه الأمراض التي تصيب العيون لا يتسع المجال لبحثها بحثاً دقيقاً خشية السأم كما هو
الحال في شرح المسائل الطبية ، ولكن من الممكن تيسيراً للقارئ أن يلمّ إلماماً تاماً ،
بإيجاز ، بذلك كله .

فالعين — كما لا يخفى — عضو حساس يتألف من أنسجة دقيقة رفيعة لا تتحمل
الصدمات ، ولذلك فإن الله سبحانه وتعالى ، لم يترك هذا العضو الحساس بغير حماية أو وقاية .
من أجل ذلك نرى أن هناك عوامل متباينة ، تتضافر وتتساند لمصلحة العين ، فقد وضعت
العين داخل حجاج عظمي مبطن بمادة ليفية دهنية ، وغطيت من الخارج بالجفون لحمايتها
من الخارج طبقاً لما نلخصه فيما يلي :

(أولاً) — متانة الجدر الحجاجية وتركيبها الديناميكي ، و (ثانياً) الدهن الحجاجي
وهو يحمي العين من الخلف ، و (ثالثاً) الجفون وهي تحميها حماية تامة تطابقها إذا قابلها جسم
غريب أو جو شديد ، بالترميش « Winking » وهو الذي يغطي سطح القرنية بالسوائل
ويزيل الأجسام الغريبة والميكروبات المختلفة عنها ، ولا يمكن أن يتم عملها إلا إذا كن
سطح المقلة مغطى بسائل يتكوّن ويسحب بسهولة تامة وهو ما نسميه بالدمع (الدموع) ،
فهو العامل الوحيد والمهم من عوامل حماية العين . وأخيراً نجد الملتحمة التي تكسو القرنية
بامتدادها فتمنع الميكروبات من الوصول الى القرنية « عديمة المقاومة » ، كما تمنع الدمع من
أن يتخللها فتذهب بصفتها وشفافيتها .

أما العين ذاتها فعوامل مقاومتها الداخلية هي شدة حساسية القرنية التي تسبب

« الترميش » وقفل الجفون بسرعة فائقة ، وصلابة الغلاف الليفي الخارجي الذي يتألف من الصلبة والقرنية .

وفيا يلي تفصيل لما أجهلناه عن تلك العوامل :

١ - العظام الجباجبي

قيل بأن الجمجمة مؤلفة من فقرات أربع تكوّنت طبقات بعضها فوق بعض نفاً عنها ذلك الوعاء العظمي ومحت هذه الفقرات بالوخزية (Occipital) ، والوتدية الجدارية ، والجبمية ، والأنفية . والثالثة منها هي التي تهمننا ، إذ يتعمّل جسمها بالجسم الوتدي ، وثقبها الأوسط بالثلاثة المصنفية أو الأثمويدية (Ethmoidal notch) التي يبيت فيها العظم المصنفدي ، وتتمثل صفيحتاها أو جناحاها بالجناح الوتدي الصغير ، والعظم الجبهي ، وهذه الفقرة هي التي تحمي امتداد المخ المسمى بالعصب البصري والشبكية . وهي التي تبصر . كما تحمي الفقرات العنقية ، والصدرية والنخاع الشوكي .

ولمعرفة كيف يحمي ذلك الصندوق المفتوح من الأمام ، وهو القوي بمئاته من الجوانب ، الذي تبطنه من العضلات والدهن الذي بداخله نقول :

الحجاج العظمي - تتألف الحافة من العظم الجبهي والوجهي والفكي العلوي وكلها عظام ، ومقاومتها كبيرة نظراً لتركيبها القوي المتين ، وصلابتها ومطابقتها لنظام ميكانيكي رائع . فإذا كانت الإصابة من أعلا على القوس الجبهي العلوي ، انتقلت الرجة الى الجبهتين ، الفكبة والوجنية ، ومنهما الى سائر عظام الوجه ، ويشبه هذا النظام القوسي الغوطي (Grothlich Arch) في « البناء القديم » . وكذلك الحال إذا كانت الإصابة موجهة الى القوس السفلي الذي يتألف من الحافة الفكبة العليا ، فإن القوة تنوزع الى عظام الجمجمة خلال العمودين اللذين يتألفان من العظم الوجني والناشرة الفكبة الجبمية ، فإذا اتجهت الإصابة نحو الجدار الخارجي حدث المثل ، يضاف الى ذلك التوزيع على القوس الوجني وعندئذ يعمل كاقوس الطائر (Flying arch) الذي تقوى به الأقواس الغوطية القديمة في الكنائس والكاتدرائيات . لذلك نرى أن الإصابة مهما بلغت شدتها فإنها تنقل بهذا النظام الفذ الى مجموعة كبيرة من العظام المقاومة فلا يبقى تأثيرها في مكان واحد .

وكذلك الجدار الخارجي ، تحمية العضلة الصدغية من الخارج ، فإذا وصلت إليه الضربة فإن التشقق الذي يتسبب عنها يقف عند الشقين الحجاجين العلوي والسفلي اللذين يقفان كخندق قوي يمنع الامتداد الى الجدران الأخرى ، وليست إصابة الجدار السفلي سهلة النال ، إذ أن العظم الفكي العلوي يقف حائلاً دون ذلك ويقلل من تأثيرها ، لأن العظم لا يسهل اختراقه ولأنه يتكوّن من لوحين مفصولين بحجاب هوائي ، ولا تأتي إصابة الحجاج الداخلي إلاّ بعد إتلاف محتويات الحجاج ، ولذلك ليس أمام الطبيعة من حاجة ملحة تدعو لصلابة هذا الجدار ، فإنه ينشأ رقيقاً دقيقاً تحترقه الأورام بسهولة كبيرة . أما الجدار العلوي فهو حاجز بين الحجاج والجمجمة ، ولذلك تكثر إصاباته . وليس في متانته ولا في تركيبه ما يمنع من تعدّد الاصابات ، علاوة على أن الهزات الممتدة إليه في إصابات الخافة العليا تسبب تشققات بسهولة نظراً لرقته .

وهناك عامل مهم يزيد في مقاومة الجدر الحجاجية للإصابات ، إذ أنها تتكوّن — كما تتكوّن جدران الجمجمة — من لوحين بينهما نخاع عظمي تكدّست طبقاته بعضها فوق بعض مثل الحيطان التي تبنى من طبقتين بينهما مادة عازلة ، إذ تكون أكثر مقاومة مما لو بنيت صماء من طبقة واحدة ، والعظمة الجبهية ، والوتدية ، والجدار الخارجي ، والسفلي كل ذلك يتكوّن من طبقتين ولذلك كان لها تلك المقاومة .

٢ - الدهن الحجاجي

وهذا الدهن الحجاجي عبارة عن مادة تسهل حركة العضلات خلاله ويعمل كسند أو كساء للعين ، فإذا وجهت للعين إصابة ما من الأمام تفهقرت هذه فلا يمنحها الدهن عن ذلك بل يدفعها دفعا لطيفاً ويعيدها الى مكانها .

٣ - حركات الجفون

هذه الجفون تغلق في أثناء النوم ، وفي الضوء الشديد ، وعند القرب المقاجي الجسم غريب ، وعند ما تمس الأهداب جسماً صلباً ، وفي حالة تهيج القرنية والملتحمة ، وفي أثناء العطس ، كما تغلق عند تغير أو زيادة الدموع ، وعند ما تمس بجفاف السطح القرني ،

وكذلك تلتاق الجفون متى تهيج أي فرع من فروع العصب الخامس (Fifth nerve) ، فينتقل الاحساس منه الى نواة العصب السابع وهنا يتم الانعكاس القرني (Corneal reflex) وهو الذي يجب اعتباره من أهم عوامل حماية العين ، ومن أواخر الانعكاسات التي تختفي أثناء التخدير العام .

وللجفون نوعان من الحركة ، أولها سريع لا يتم فيه تطابق الجفنين ويسمى الترميش (Winking) وثانيهما قوي محكم يسمى بالاقفال ويقصد منه حماية العين (المقلة) من دخول جسم مفاجيء .

ويسبب من الترميش مواصلة انقباض الجزء العضوي في العضلة اللاصقة بسطح القرنية والملتحمة ، أو زيادة الدمع في الأخيرة عند الاحساس بالجفاف فيها .
أما الاقفال فيتم بتطابق الجفنين وقفل الفتحمة الجفنية تماماً . وعند النوم يتطابق الجفنان بخفة وتندفع المقلة الى أعلا والى الخارج كما يرى ذلك بسهولة في النساء والأولاد خلال الجفن لرفقه .

وعند فتح الجفن يرتفع الجفن العلوي بعد العضلة الرافعة ويساعدها في ذلك العضلة التي تسمى بعضلة مولر (Mouller) . أما الجفن السفلي فإنه يسقط بثقله عند فتح الجفنين وتسحب العضلة السفلى لمولر الى تحت قليلاً .

٤ - الدموع

هذه الدموع تفرزها الغدد الموجودة بالملتحمة الجفنية ، ويمكن استمرار إفراز الدموع بكميات كبيرة جداً لساعات متعددة عند حدوث مؤثرات ، وعند وجود حالة نفسية عنيفة ، أو عند تهيج ملتحمة شديد ، ومصدره الدم ، لذلك فإنه يتخلل الغدة وينساب بين طياتها (فصيصاتها) ، ويفصل الدم عن القناة الموجودة داخل الفصيص بمحوائط متعددة إذ يفصل عنها الغشاء الوعائي والغشاء القاعدي للفصيص ، ويتناول هذا العامل الإفرازي مرة مرور الدم ، وزيادة ضغطه في الغدة ، وزيادة اتساع الأوعية الشعرية ، حتى لقد ينتقل النبض الشرياني الى الوريد .

ويتغير شكل الخلية كثيراً بعد تمام الإفراز ، إذ تفقد الحبيبات التي كانت بها ويزيد

مقدار البروتوبلاسم (Protoplasm) نسبياً، ويبدأ الافراز بأن تأخذ الحبيبات الماء والأملاح من السداد المجاورة، وتنفذ وتنصرف كنقطة سائلة في القنوات التي بداخل الفصيصات. فالعمل الأول موكول الى الخلوية التي تكون الحبيبات من البروتوبلاسم بالترسيب وسواه، وتسحب في سبيل ذلك الاملاح والسوائل من الدم، كما تأخذ منه المواد المغذية المتجهة من القناة نحو السطح.

قيمة الافراز: ولا يحدث من الافراز عادة الا ما يكفي لتغطية السطح القرني وتعويض التبخر، ويكون ذلك غالباً من الغدد الملتحمة، واذا زاد الطلب تدخلت الغدة الدمعية، وزاد الافراز تبعاً لذلك. ويتجه الزائد من السائل الدمعي من الجاف الخارجي الى الجاف الداخلي بجملة عوامل. أولها: ارتفاع الأول عن الثاني وشدة بروزه. وثانيها الحركة الاختلاجية التي تنقل الجفون برمتها نحو الانف.

يزداد انهمار الدمع: أولاً — عند ملامسة أجسام غريبة للملتحمة والقرنية. وثانياً عند تهيج غشاء الانف. وثالثاً — عند وقوع ضوء شديد على العين. ورابعاً — عند الاحساس بجفاف القرنية. وخامساً — عند تأثير الأشعة تحت الحمراء وفوق البنفسجية على الشبكية وهكذا.

٥ — الملتحمة

والملتحمة قطعة من الجلد تتغير تركيبها تبعاً لوضعها فهي تعتبر كخط دفاع أمامي ضد الميكروبات التي تكثر على سطحها وسطح امتدادها على القرنية، بينما تمثل الخلايا المفاوية وحبيباتها (Follicles) التي تكثر في طريق الخط الثاني في تلك السلسلة الدفاعية.

وتحتوي الملتحمة على غدد عرقية (هي الغدد الدمعية) وأخرى شمعية (مبيوميون) (Meibomian) وليس لها عمل إلا في حرف الجفن حيث يتطلبها الاحتكاك المستمر كما أنها قليلة الالتصاق بما تحتها

وتحتفظ الملتحمة بخاصية لا ترى في مكان آخر من سطح الجسم، مثلها في ذلك مثل الحيوانات الفطرية، فان خلاياها خاصة افراز المخاط فتتورم الخلوية وتمتلئ بالمبيوسين، ثم تنفجر فتخرج محتوياتها كسائل يغسل السطح ويحمل معه ما علق من الميكروبات، ولذلك فان الملتحمة آثاراً من الأهداب على قمة اللحمية.

٦ - حساسية القرنية

ويوجد تحت سطح القرنية شبكة عصبية نهائية تجعل للقرنية حساسية خاصة بالحرارة والبرودة واللمس والوخز، وكلها تحدث حساسية بالألم في القرنية وتؤدي إلى إفراز الجفون بعنف

٧ - مقاومة أغلفة العين

وللعين غلاف ليفي قوي متين جداً نظراً لكثرة الأنسجة التي يتكون منها فلا ينفجر الجزء الخلفي من الصلبة عند الإصابة في الجزء الأمامي والعكس بالعكس إلا في الإصابات المباشرة. ولذلك فالقرنية شفافة وتتأثر بالحروج (قرح العين) فإذا حصل حرج على القرنية ترك أثراً يسمى صحابة إذا كان الحرج سطحياً، أو ترك عتامة (نقطة) إذا كان الحرج عميقاً أي غير سطحي، ولذلك فإنه يحجب النور الذي يدخل من القرنية إلى الشبكية، والعصب البصري بواسطة الحدقة كما يمنع النور من الاتصال بالعصب البصري والشبكية والمخ إذا حدث إفراز والتهاب بالقرنية، والقزحية الهدبية فيسبب التصاقاً حلقياً يسد الحدقة، أو حدث عتامة للبلاورية وهذه تسمى كتركتا وهي ما يسميها العامة (مبسه أو مبسه بضاء). والقرنية - في هذه الحالة - مثلها كمثل زجاجة الساعة تماماً تكشف ما وراءها، والهضبة الهدبية مؤلفة من الخلف من المشيمة والجسم الهدبي، ومن الأمام بالقرنية، وهذه عبارة عن حجاب حاجز مستدير في وسطه ثقب دائري يسمى الحدقة (التنسي) يتألف معظمه من الأوعية الدموية الشعرية مع بعض الخلايا ومغذى بكثير من الأعصاب الحساسة معظمها العصب الخامس، وهو لذلك يحس بأي أثر، ويحصل له التهاب وإفراز شديد يؤلم المريض ويحدث للعين احمراراً شديداً والتهاباً وعدم حساسية بالضوء، حتى إن المريض لا يستطيع فتح عينيه إلا بصعوبة، ويتأثر من الضوء ولا ينفعه إلا البقاء في الظلام. ولون القرنية عسلي غامق أو عسلي فاتح كما هو مشاهد في أعين معظم المصريين، على عكس الأجانب فعيونهم زرق. أما إذا كانت الخلايا غير ملونة بالمادة السوداء فإنه يأخذ لوناً أزرق غامق أو لوناً فاتحاً تبعاً للخلايا التي به.

والحدقة مثلها كمثل ثقب آلة التصوير تتسع وتنكمش حسب الحاجة إلى الضوء. فتتسع في الظلام لدخول نوراً أكثر، وتنكمش في النور القوي وفي الشمس.

أما «الخزانة المقدمة» فهي فضاء بين القرنية والقزحية ، بها مادة ليمفاوية . وبلي اقزحية العدسة ، وهي التي تحكم وتكيف بصر المرئيات . والجسم الزجاجي ، وهو ما يشكو منه بعض الناس بوجود أجسام سود تتحرك أمام الحدقة بسبب وجود عتامات به . ثم الشبكية والعصب البصري ، وهي امتداد المخ وجزء منه ، وهي التي يرسم عليها الصورة من الخارج وتأخذ رسماً في المخ ثم تنعكس وتخرج بصورتها الطبيعية ، وهي أهم نقطة حساسة داخل العين . فإذا حدث ضمور أو التهاب ، أو حدث اتصال للشبكية ، فإن الصورة لا تصل إلى المخ ولا ترسم ، ولا تأخذ اتجاهها الطبيعي ، ومعنى ذلك فقد البصر .

الأمراض

وفيما يلي تفصيل موجز لأمراض الجفون والملتحمة والرمم الصديدي والرمم الحبيبي والبثري والربيعي والدفتريا (أي الدفتريا الرمدية) .

١ - التهاب الجفون

عرفنا فيما سبق أن للجفون غداً دمعية وشحمية ليس لها عمل إلا في مكان واحد وهو حافة الجفن بمحوار الرموش .

ويصاب هذا الجفن بعدة أمراض ، بينها الالتهاب ، وهو نوحان : قشري ، وتقيحي . أما القشري فإنه نوع من القشرة تملأ الرموش وتسقطها وتسبب تشوّه منظر الوجه بالقشور واحمرار حافة الجفن ، وسقوط الرموش .

والنوع الثاني وهو التقيحي : عبارة عن تقيح داخل بصيلات الرموش ، وهو أشد من الأول ، لأنه يكون مصحوباً باحمرار شديد ، ويترتب عليه تقصف الرموش بل وفقدانها ووجود دمل . ويمزج إصابة الجفون بالتهاب إلى عوامل كثيرة جداً ، أهمها الفقر ، والعيشة في حالات غير صحيحة ، أو في جوٍّ يكثر فيه الدخان أو في عمل يقضي الوقوف أمام النار مثل عمل السمكرية والحدادين والطباخين ، وكذلك في وسط القاذورات كما يترتب عن الضعف السل ، أو يأتي أيضاً نتيجة أمراض الحنك . ويحيط كل شعرة من شعرات الرموش مادة تقيحية فتصبيح طائفة في العديد وتظهر كأنها جملة دمل بالرموش .

وهو كذلك مرض معدٍ كما لا يخفى ، وقد يأتي أحياناً في حالات عدم استعمال النظارات حين تكون لازمة صوناً للنظر الاستعجائي . أما علاج التهاب الجفون فهو النظافة والمطهرات أولاً وقبل كل شيء

٢ - الرمد الصديدي

وهذا المرض - ولا شك - معروف في جميع أنحاء القطر المصري ، وبسببه تفقد العين بصرها ، إما بإصابتها بالقروح فتفقد العين بصرها تماماً ، وإما بترك عتامة كبيرة (نقطة) ، أو بضمور المقلة ، أو ظهور عنبه (زر) فهو لذلك أخطر أمراض العين .

وقد تبين من الاحصاءات لهذا المرض في المستشفيات الرمدية الأميرية انه كان في سنة ١٩٠٤ يبلغ نحو ١٢ أو ١٤ في المئة . أما الآن فلا يصل إلا الى حوالي ٤ أو ٥ في المئة بفضل انتشار التعليم وكثرة المستشفيات الرمدية والخصوصية علاوة على دقة العلاج ، وإنه كذلك بفضل المطهرات الفعالة كالبنسلين ومستخرجات السلفانا وسواه ، صوف تقل نسبته كثيراً .

أسبابه وعلاجه : الرمد الصديدي ليس هو ما يصيب العين بالصديد وحده بل إنه يحدث وزماً بالجفون واحمراراً في الملتحمة « بياض العين » وهذا الورم اما أن يكون خفيفاً أو شديداً فلا يتمكن المريض ولا الطبيب من فتح العين إلا بالآلات الخاصة ثم يتكون الصديد بين الجفون ، ولا يمكن المريض في هذه الحالة أن يقاوم الضوء فلا يفتح عينيه ، وهنا يأتي الضرر من الميكروب الذي يأكل أجزاء العين بمعنى أن القرنية هي التي تضاب أولاً . وبما أن هذا المرض ينتج من الإهمال والوصاية ، فانه يصيب معظم العائلات الفقيرة التي تعيش عيشة غير صحية . وهو ينتقل بسرعة بواسطة القباب ، واللمس ، والمناشف ، والمناديل ، والمخدات ، ولعب الأطفال بعضهم مع بعض .

وتختلف درجة إصابته باختلاف الميكروب الذي يسببه ، فبعض الميكروبات تسبب فرحة بالعين بين ١٢ و ٢٤ ساعة ، والبعض الآخر لا يسبب شيئاً . وتضاب العين به أحياناً ، بقرحة بين سبعة أيام أو عشرة .

وميكروب الرمد الصديدي صغير جداً لا يمكن رؤيته إلا بالمجهر المكبر « الميكروسكوب »
فيضاعف حجمه نحو ٩٧٠ مرة ويتبين منه أن طوله يبلغ من اثنين الى ثلاثة ملايين
وتتعدد ميكروبات هذا المرض فمنها ستافيلوكوكس وميكروب السيلان وجونوكوك
والدفتريا وسواها وأشد تلك الميكروبات فتكاً بالعين هو ميكروب السيلان « Gonococ »
فانه يفقد البصر في بعض الحالات في خلال ٢٤ ساعة

وسبب إصابة العين بالنقطة في حالة إصابتها بالرمد الصديدي يرجع الى اهمال علاجها
وتأخير فحصها طبيياً فيشتد حينئذ الميكروب وتبقى مقاومة العين للمرض ضعيفة .
العلاج : — تغسل العين المصابة بالغسيل المطهر أو بالماء النظيف ، بارداً أو دافئاً ،
والمس بوساطة الطبيب ، ثم عمل حقن اللبن بوساطة الطبيب أيضاً ، بمقادير خاصة ، واستعمال
حقن البنسلين ومستخرجات السلطان وسوى ذلك .

تنبيه : من الخطأ ربط العين بالقطن كما يفعل بعض الناس ، لانه يحجز الصديد داخل
العين ، فيتوالد الميكروب ويتكاثر الصديد داخلها ، فيصبح الضرر عظيماً .
أما الغسيل ، ولو بالماء ، فإنه يطرد الميكروب ويزيله .
العدوى : ليست هناك مناعة للوقاية من الرمد الصديدي ، فان المريض بعد شفائه
يصاب غير مرة بهذا المرض متى اتصلت به العدوى .

وقد يشفى هذا المرض أحياناً من تلقاء نفسه لانه يستمر سبعة أيام وفي نهايتها ينقطع
الصديد من نفسه ويفتح المريض عينيه وتعودان لحالتهم الأولى بعد وقت قصير — اما اذا
حدثت إصابة بالقرنية فلا يمكن المريض أن يفتح عينيه بعد السبعة أيام وعند عرضه على
الطبيب يجد أن القرحة أصابت القرنية تقريباً . ولذلك كان المعتقد قبلاً أن لا تمس العين إلا
بعد سبعة أيام بحجة شفائها وحدها فاذا وقعت الواقعة وأصيبت العين بالقرحة بعد الأيام
السبعة وعرض المريض على الطبيب وفاجأه بإصابة العين بالقرحة استغرب وقوع الإصابة
بالعين .

٣ - الرممد الحبيبي

هذا المرض يعرف كذلك باسم « الرممد المصري » أو « الحمية » وهو عبارة عن وجود حبيبات على الملتحمة داخل الجفون ، سواء الجفن العلوي أو السفلي ، وهو مرض معدي في دوريه الأول والثاني - كما سنفصله فيما بعد - ويسبب إفرازاً بالعين ولا سيما في الصباح ، كما يسبب قمل الجفون

وقد قسمه العلماء الى أربعة أقسام :

القسم الأول : عبارة عن حبيبات صغيرة تكاد تكون غير ظاهرة على الجفون ولونها أبيض يميل الى اللون الأصفر

والقسم الثاني : عبارة عن حبيبات على الجفن « follicles » وهي متعددة فنفا الصغير ومنها الكبير ، ومنها المستدير والمربع ، ومنها المبسط والسميك وسواها . والافراز يوجد بين الحبيبات أو فوق سطحها . فهو مرض معدي جداً .

والقسم الثالث : لا يوجد به حبيبات ، بل يكون قد حل محلها أثر التحام . وهو معدي ، اذا لم يكن قد تكاملت التهاماته .

وتكون أحياناً مصحوبة بحبيبات رملية ، وهذه غير معدية ، إنما يلزم اجراء عملية لها ، ولا سيما إذا كانت كبيرة وبارزة .

والقسم الرابع : يكون الجفن قد شفي من الحبيبات فيصبح « أملس » ، نظيفاً . ولا عدوى منه .

ورمد القسم الأول يشفي من نفسه بمرور الزمن ، وأحياناً يتحول الى رمد القسم الثاني ، وأحياناً يشفي بالعلاج بقطرة الزنك ، أو سلفات النحاس ، وأحياناً يكون مصحوباً بإفراز وهذا الإفراز قد يكون غير ظاهر ، أو معدوماً ، وقد لا يشعر به المريض إلا إذا وجد هذا الإفراز .

أما رمد القسم الثاني فإنه أصعب الدرجات كلها ، إذ أنه يحدث السحابات والعتامات وكثرة الاوعية على القرنية ، والقروح ، والشحرة ، والافرازات وكثيراً ما يكون مصحوباً

بميكروبات تسبب الرمد الصديدي نفسه ، وأحياناً يصحبه ارتخاء في الجفون ، فتؤلم فتحة العين ، وتغطي الحدقة .

وهذا يحتاج الى المس يومياً بنترات الفضة ، ثم بإجراء عملية ، ثم بالمس مدة طويلة حتى تعود حالة الجفون الى الحالة التي بسطناها في القسم الثالث ، ويغلب ظهور الشعرة اما في أثناء العلاج ، أو بعد تمامه ، مما يدعو الى سرعة اجراء عملية لها . ويسمى الفلاح : « كأس العمى » كما يسمونها « الشعرة » أو « الرفعة »

أما رمد القسم الثالث فيحتاج الى العلاج بالمس وسواه حسب اشارة الطبيب إلى أن يصل الى درجة القسم الرابع أي ان يكون قد وصل الى درجة « أمس »

ورمد القسم الرابع لا يحتاج الى علاج ما

وليس من الضروري أن يكون بالجنف ورم أو انتفاخ يدل على وجود الرمد الحبيبي بل بالعكس فإن حالة الجفون من الظاهر تكاد تكون طبيعية

ورمد القسم الثاني ينقسم الى (ا) — ما أشرنا اليه قبلاً و (ب) — تكون حبيباته كبيرة الحجم وأكثر صلابة وتحجراً و (ح) — كما في قسم (ا) ومصحوبة بالافرازات و (د) — كما في قسم (ب) علاوة على افرازات قد تشبه أحياناً الرمد الصديدي

وتاريخ الرمد الصديدي والرمد الحبيبي معروف لدى قدماء المصريين ، فقد اكتشف « اير » — وهو من العلماء المشهورين في علم الآثار — وجود نوعي هذا الرمد في البلاد قبل سنة ٢٠٠٠ ق.م ، وكتب ابقراط الطبيب اليوناني المعروف — سنة ٤٢٢ ق.م. عن مرض الشعرة وعلاجه . والعمليات . ووصف سلسس الطبيب الروماني الشهير عمليات الرمد الحبيبي ، كما وصف حالة الجفون وصفاً دقيقاً سنة ١٤ بعد الميلاد . وكذلك وصفه كاسيس فيلسكس سنة ٤٤٧ بعد الميلاد أيضاً ، ووصف بيزانطين الطبيب اليوناني الشهير المرض الحبيبي سنة ٦٠٠

وقد عرفه في العهد القديم الآله توت وكان يعتبره قدماء المصريين الآله الطب وله بحوث طبية ورمدية وتطهير ، والعلاج بسلفات النحاس « التوتيا الزرقاء » والزنك .

أما أطباء العرب فقد وصفوا عمليات الشعرة كما وصفوا الرمد الحبيبي ، بينهم عمر الموصلي سنة ١٠٠٠ بعد الميلاد ، والهاذلي .

ولما غزا نابليون الأراضي المصرية سنة ١٧٩٨ - ١٨٠٢ أصيب جنده بالرمدين الصديدي والحبيبي اصابات شديدة كانت سبباً في اطلاقهم الى بلادهم وكانت نسبة المصابين بالعمى من بينهم كبيرة جداً .

وتبلغ نسبة الاصابة بالرمد الحبيبي في ريف مصر بين ٩٧ و ٩٨ في المئة وبلغت نسبتها بين تلاميذ المدارس نحو ٩٥ في المئة ثم قلت الى نحو ٩٢ في المئة نتيجة العناية التي بذلت في سبيل علاجهم .
والوقاية من الرمد هي النظافة التامة وعدم الاختلاط بالمصابين أو مصاحبتهم ، أو استعمال الأدوات التي يستعملونها .

قلنا في ما سبق أن الرمد مرض مصري قديم ، وان قدماء المصريين بمخونه ومالجوه ، ونقول هنا انهم استعملوا في هذا العلاج الزنك وصلقات النحاس (التوتينا الزرقاء) - ولا تزال تستعمل الى الآن بعد ما تبينت فائدتها في علاج الرمد الحبيبي .

ولا علاج للرمد الحبيبي سوى القطرة في الحالات البسيطة ، ثم المس والعملية والنظافة وعلاج المضاعفات - وفي حالة وجود الشعرة ، يكون بالعملية ، وليس بقطع الرموش فانها لا تلبث ان تعود الى الظهور بعد نحو ١٥ أو عشرين يوماً .

ولست الشعرة معدية بل الرمد الحبيبي هو المعدى ، وكما أن الرمد لا يسبب ضعف النظر فكذلك المس لا يقوي البصر الاً إذا كان الرمد مصحوباً بمضاعفات .
وقصر النظر شيء والرمد شيء آخر ، بل ان قصر النظر يكون طبيعياً مثل قصر الميوبيا Myopia وعلاجه النظارة .

ومع ان الرمد الحبيبي شديد العدوى فانه الى اليوم لم يكتشف له ميكروب خاص ولا تزال تجري البحوث للوصول الى معرفة أصله .

أما الرمد البثري وهو التهاب بسيط في الملتحمة، فيحدث من وجود بثرات على الملتحمة (أي إبيض العين) أو على حافة القرنية، وتسبب انهمار الدموع، وعدم مقاومة الضوء، ويعزى سبب ذلك إلى الضعف، ولا سيما إذا وجدت مع الغدد الموجودة بالعنق وهي التي يقال أن أصلها درني، غير أنها توجد في أشخاص سليمي البنية، كما أنها توجد في الأولاد بين سن الخامسة والخامسة عشرة.



الرمد الربيعي: والرمد الربيعي يشبه الرمد الحبيبي في درجة القسم الثاني (ب)، وقد يصيب الملتحمة الجفنية، والملتحمة القرنية، وأحياناً يصيب الاثنين معاً. فإذا أصاب الملتحمة الجفنية ظنه بعض الأطباء أنه رمد حبيبي، وعالجه بالمس والعملية، ولكن المرض في هذه الحالة يزداد سوءاً، وهو يكون مصحوباً بكالان وكرش بالجفون لا يقوى المريض على احتماله مهما كان الدواء الذي يستعمله.

وإذا أصاب الملتحمة القرنية، كانت حالته كحالة التهاب القرنية، ويحصل بروز بسيط في الأوعية على سطح الملتحمة والقرنية، ويكون هذا الالتهاب والاحمرار محدوداً أو طامساً حول القرنية.

وقد ظن بعض الأطباء أن هذا المرض يظهر في شهور الصيف، غير أن البحوث دلّت على ظهوره صيفاً وشتاءً، ويصاب به الرجال والنساء على السواء بين سن العشرين والثلاثين. والغريب أن هذا المرض قد يزول وحده أحياناً بغير علاج ولا يعود للمريض مرة ثانية. وأحياناً أخرى لا يزول بالعلاج إلا بلبث أن يعود إلى المريض فلا يقوى على احتماله وقد أدى بحقي إلى عملية تمنع بها عودته بتاتاً.

الركنور - عبر المسبح جبرميس

طبيب العيون

(لبحث تمة)

التجديد والأدب العربي

شعلة سرت من جزيرة العرب فأنازلت تخوم الشرق أدانيه وأقاصيه فعمرت الرؤوس
وأطلقت اللسان تلك هي لغة العرب ، وقد عصفت في عصورها المحدثه ريح صرصر عاتية من
معامي الغرب فهبت على هذه الشعلة تريد أن تطفئها ولكن الله حافظها وإن انزوى بصيص
من شمعها في نقر خفت هامهم مشغوفين بالمدينة الغربية ، تلك الرياح هي لغة الغرب وقد
أحدثت أدباً ما عثم أن هجم من باب المدينة فشغل مناطق الناس في مجالسهم ونواذيرهم وبيوتهم
وصحفهم وقد ركب أصحابه من رؤوس الناس يستميلونهم الى الأخذ بما قد هذا الأدب
السفساف والاستمضاء بلعانه ولكنه قطع الليل المظلم . غير أن شبابنا لا يجنحون إلا إلى
ما تستغيه المدينة الغربية وما يتسهل عليهم الأخذ به وهو في الحق لا يتصعب في درسه
ولا يقطع من زمن لهوم ولا يحجد ذلك أدباؤنا الذين تقصوا كتب الأدب قديمه وحديثه
وتكشفوا أسرار علومه فخذوه بعد جهد حتى كانوا أثبت في الدار من الجدار لا يتأودون
عما استنفدوا فيه أعمارهم بحثاً وتنقيحاً واستنهاجاً لنهج المتقدمين وإن تحقق للمحدثين الظفر
والغلبة في هذه الأيام على أهل الأدب الحق القديم فكانوا أكثر عدداً وأشيع أدباً وأحظى
بكباراً عند شبابنا المصري بقدر ما أوتي نصيباً من لغة العرب وله في ذلك شبه تعذر إذ قد
ثبت في نفوس الشباب ذلك الميل الى التجديد وكلما قرب الانسان من المدنية ازداد حاجة الى
التجديد وازداد ازدياءاً بالقديم .

غير أن التجديد لا يتناول كل شيء فالدين مثلاً لا يقبل تجديداً ولغة القرآن لا تقبل
تجديداً لا في أسلوبها ولا في ألفاظها إلا ما زج فيها من ألفاظ غيرها ما ليس له مسمى فيها
وتلك ضرورة ، فاللغة العربية لا تبقى حافظة كيائها وعظمتها إذا أقصينا لفظاً قديماً عن
الاستعمال بدعوى أنه حوشي ، فينسى ثم لا يكون له أثر بعد ذلك فينفرط عقد اللغة ويذهب

بهاؤها بذهاب ثروتها بألفاظها . ولا هك في قدم القرآن وعظمته لفظاً وأسلوباً ومعنى . يتداعى إلى الأذهان أمام كل أولئك بناء الأدب الحديث . ولا ريب أن في القرآن جماً من ألفاظ قد لا يستبينها حقير العلم باللغة من رجال الأدب الحديث فيتوهمها متعاطلة متنافرة ، والقرآن روح اللغة وجسمها فإذا تجسّم خيال التجديد في الأذهان ولعب الاغرام به في الادمغة نائياً جانباً عن القرآن والحديث وكلام القدامى من فصحاء العرب بدعوى تسوّلها نفوس طلاب التجديد أنها ليست من الفصيح ما دامت مشحونة بألفاظ تنبوعاً عن أمراض الافهام فيعدونها سائحهم الله غريبة متعاطلة ، وما دامت سياسة التعليم في بلادنا بعيدة عن أخذ النشء بالاضطلاع والتنقيب في المعاجم وأصفار الأدب القديم ثم هم لا يأخذونهم باستظهار طائفة من مرادفاتهما في كل ناحية ينحوها الكاتب فيتمكن من تجويد كتابته ودفع الوسم والنقص عن لغته ، وما دامت سياسة الصحفيين والقصاصين في كتاباتهم تحذوهم أن يكونوا بناحية عن أخذ القارئ بالأساليب المراتثة عليهم ، ما دام هؤلاء وأولئك يحبسون عن أفلامهم الألفاظ السوامى عن الافهام الغضة لتعلم أنها قديمة ووعرة عليهم كان للمعلمين وللصحفيين سوء الأثر في لغة القرآن والسنة .

ومن عبث الأيام أننا نرى فئة الأدب الحديث لا يأبهون بكتابة قديمة ولا لتأليف قديم في الأدب العربي وبخاصة المنبسطة في الوجوه والعلل النحوية والصرفية وهم يكرهون ذنبك الفرعين للأدب في النحو والصرف إما لمجرد انصرافهم عن القديم وإمّا لأنهم لم يستطعنوا قواعدها .

وقد أجمع قدامى ومحدثو رجال الأدب المحققون إلاّ بعض من حبس بنانه للصحافة أو كتابة القصص وجنانه للتعليم أنّ للأدب أصولاً من الكتب القديمة يجب أن يحذفها الأديب وأكثرهم خصص منها الكامل لمحمد بن يزيد المبرد ، وأدب الكاتب لأبي محمد بن عبد الله ابن قتيبة ، والبيان والتبيين لأبي عثمان عمر الجاحظ ، والنوادر لأبي علي القالي البغدادي ، وجعلوها أصول هذا الفن وأركانها وما سواهم تبسّع لها متفرع عنها وكلها مفرطة في قواعد النحو مشحونة بتصاريف الصرف مترعة بأبحاث لغوية يستدل منها في كثير من نقد أبيات لمختلف الشعراء في مختلف العصور لم يسلّم فيها ناصحاً مسلماً كما مأمون النقد والكمال لله وحده ،

وهؤلاء يرون أن أصول مباحثهم هذه وبخاصة النحو وهو عماد جمل الكلام وتوثيق ربطه وقوام المعاني فلا يستقيم معنى لكاتب إلا بعرفته وأن الآخذين بمعاقد الكتابة ولا أخافهم يشكرون ما يعلمون أن النحو والصرف قد ذهبت بهما أهواء مبغضيهما في دور الصحافة والتعليم وجو التأليف القصصي ببلادنا مع حفظ ما يقف عنده العلم الصحيح يروز من حدّ قتهم معارفهم وتحررت أفلامهم فلمهم في نفوسنا من الاعتراف بما أوتوا نصيباً موفوراً من فضل على الأدب والكاتبين وأولئككم أبعدهم من أن يروا ما يرى بعض الكتاب أنهم لا تستوجبهما الكتابة ولا تستدعيهما صناعة الأدب وحسب الكاتب من النحو والصرف القدر العفيف المقرر في كتب الدراسات المدرسية على إن كثيراً من أبوابهما لا يحتاج إليه الكاتب وإنما يرى وليس يشكر أحداً ما يرى أن بين الصحفيين وطلّاب المدارس من ينجح في كتاباته إلى صنف التركيب هروباً من تركيب يوضحه الأعراب وهم بعيدون عنه . ومما يقضي منه العجب أن من القوامين على التعاليم في مدارسنا من يرى أن هذه الكتب التي ذكرنا منها جانباً وما نهج نهجها قبور من الأوراق لا يصح أن تعد من آلات الأدب العصري ولا تقع من معارف الأدباء فيجب أن تهمل إجمالاً أو تحقق من الوجود محققاً ليكون النشء بنجوة عن اضطراب عقله لأنها تكاد تطمس منه أدباً أخذه به معلوه وتذهب من خصائصه مقوماته التي روضوه عليها بما يلائم عصره وهذا قليل من كثير يلهم به معلونا وصحفيونا . ولا أراني ملوماً إن قلت إن لغة العرب تذيب على هياكل العسف بمرأى ومسمع من أولئك القوامين عليها وهم الذين كشف الله عن بصيرتهم في دركها وتكشف أسرارها ولا يؤخذ عليّ أن قلت إن العصبية لهذه اللغة إذا ضاعت في رجالها ذهب بها وهم وتداعت عظمتهم ولا يداخلني شك في أن أدباءنا كالمقاد والزيات والمازني والجارم وزكي مبارك ودربي خشبة وطه حسين وغير أولئك ممن برزوا في ميدانها طالة على الأمة وجناية على اللغة في بلد عربي إذ لا حاجة لأدبهم ما دامت اللغة في قبضة الموت وهم رجال لم يبلغوا ما بلغوا من سمو المقام إلا بما أوتوا نصيباً موفوراً من أسرارها وحلقوا في جوّ دقائقها من أصول وفروع ، لذلك لا يسأل في أمتنا غير أدبائنا وعلمائنا في اللغة أمام الله عن لغة كتابه وأمام الأمة عن لغة قوميتها وتلقاء الضمير مما قلدهم الأمة زعامتها ، تلك الأمانة التي يجب أن يؤدوها بالحفاظة عليها من أيدي العابذين المغرورين الذين يعملون جهدهم اليوم لاستبدال غيرها بها ، فاللغة قوام معلومات أمتهم وداعية ثقافتها وسر عظمتها ، وربما كانت أصل بقائها في هذا الوجود . وإلى هنا أستوقف القلم .

محمد توفيق عز

كيف يتكلم الموتى

للعامة الروحي الشير شو دزموند

يسألني أولئك الذين لا تفوتهم الدجاجة أبداً : وما فائدة الكلام مع الموتى ؟ هل هم
يأترون يعرفون أكثر مما نعرف ؟ هل هم دائماً خير منا وأعقل ؟ .

إنه بقطع النظر عن العزاء الناجم عن مخاطبة من أفقدنا الموت إياهم مؤقتاً فإننا أحياناً
نتصل بالأرواح العلوية الكبرى . وهذا إلى أن حرماننا أنفسنا من مصادر عوالم الروح
ومواردها الواسعة حماقة تشبه حماقة حرماننا أنفسنا من مصادر عوالم الدين ومواردها —
ولست أقصد بالطبع من الدين تلك العقائد التي يخترعها البعض .

وعدا هذا فإن جماعة الأرواح المتوسطة الحال الذين يتصلون بنا ليسوا أحسن منا
نحن سكان الأرض — إنهم أحياناً يكونون أقل منا حسبي . والواقع أن كثيراً من الأحاديث
العادية من عالم الموتى قد يكون من الخير ألا نذكرها . ولا شيء يزيّف ويفسد أكثر
من التصديق الساذج لكل شيء تتضمنه هذه الأحاديث ، ومن جهة أخرى لا شيء يساعد
المحزون وينعشه كبعض هذه الأحاديث .

وقد يظن قرائي أنني حين أقول إنني كلمت الموتى ورأيتهم أن في الأمر خداعاً . ولكن
لا خداع البتة ، فأمامي سجلات ومدونات عن ١٨١ جلسة من جلسات الخاصة مع الموتى ،
وأعرف ألوف الجلسات غيرها ، وفي هذه المدونات التي تدون خلال تلك الجلسات أو عقب
فنها مباشرة نجد الأحاديث مع الموتى وقد سجلت بطريقة الاختزال كما سمعت ، كما ذكرت
كذلك الأماكن والأسماء ودرجات الحرارة وكثير من التفاصيل الأخرى . وقد عقدت
هذه الجلسات الـ ١٨١ تحت رقابة شديدة . فالأبواب مغلقة ومحروسة ، وفي بعض الجلسات
كان يحضر رجال العلم ، وكذلك كان يحضرها أناس يعرفون « الموتى المتكلمين » كل المعرفة
حينما كانوا « أحياء » فكانوا يساعدون على تحقيق التفصيلات الدقيقة الخاصة بهؤلاء الذين
نسبهم موتى .

ولا عجب إذا رأينا علماء عالميين من أمثال الأستاذة بوزانو وريشييه ولا ركن ، والأخير هو مدير مرصد لاو Lowe بكاليفورنيا ، قد اضطروا في النهاية لقبول كل النتائج الرئيسية في هذا الصدد ، وكثيرون منهم حاربوا البيانات المقدمة سنين طويلة ، ولكن صدق هذه البيانات وممانتها قد أقنعتهم بأن الإنسان يتمتع بالحياة بعد ذلك الموت الجسماني . وقد ذكرت في مؤلفاتي الكثيرة أسماء كثيرين من أمثال هؤلاء العلماء .

وهنا أقول لقرائي الذين يقرأون كلمتي هذه إنهم غير مجبرين على تصديق ما يصدقه هؤلاء الناس إذا لم يقبلوا ذلك هم أنفسهم . ومهمتي هنا أن أدلهم كيف يقبلونه ويثبتونه . فكيف يكون ذلك ؟ .

حينما تكلمت مباشرة مع صديقي تيمبل ترستون كاتب الروايات التمثيلية ومؤلف رواية « اليهودي الثائه » لم أستمع إليه وهو يحدثني بصوت الوسيط ، ولكنه كلمني من الهواء مباشرة أمام عدد كبير من الناس ، وحينما سألته تحقيق شخصيته أدلى إليّ بالاسم الذي كنت أنا وحدي أناديه به وهو على الأرض .

ودخل سير ارثر كوناو دويل الكاتب الشهير الذي ألف روايات شرلوك هولمز والروحي اللبق الدقيق بعد وفاته بقليل حجرة التحضير ليناقشي في بعض روايات تمثيلية كنت أكتبها إذ ذاك . ولكي يثبت لي أنه هو كوناو دويل حين تحديته ، ذكر لي المكان الذي احتمينا فيه أنا وهو في مدخل بيت مقابل لمحلة فكتوريا بلندن .

وتحدثت أمامي بمنزلون انتقلوا الى عالم الروح منهم فيلسوف تري ورودولف فالنتينو أحاديث طويلة مع أقاربهم وصحبهم ، وكان ذلك في المعمل الذي نسميه « حجرة التحضير » وقد بعثوا برسائل هامة من الجانب الثاني وكانت رسائل عديدة منسقة اعترف متلقوها بصحة محتوياتها .

وقد يسر قرائي أن يعرفوا أن رودولف في العالم الثاني ما زال يتابع عمله الفني ، فهناك في عالم الروح توجد المسارح ودور السينما والمدارس والمعابد . وإذن فما هي الآلة التي بها يتواصل الموتى مع الأحياء ؟

فأولا يجب أن تعلم أنهم يعملون ما نعمله نحن حين نريد التكلم عن بعد مع صديق لنا . إنهم يستعملون نوعاً من تليفون يسمونه « صندوق الصوت » ويستطيع أصحاب الجلاء البصري رؤيته .

ولكن قد تسألني « وما هو صاحب الجلاء البصري ؟ » .
صاحب الجلاء البصري ذكر آ كان أم أنثى هو الشخص الذي له قدرة على ما يسمى رؤية
غير المنظور أو الرؤية عن بعد . ولصاحب الجلاء البصري والسمعي عيون وآذان من
الحساسية بحيث ترى وتسمع ما لا يراه ولا يسمعه الشخص العادي لأنه لا يستطيع « التقاط »
الاهتزازات .

نحن كلنا أجهزة راديو لا أكثر ولا أقل ، فمن الحقائق العلمية أن الانسان العادي يسمع
من الأصوات ويرى من المشاهد التي تحيط به جزءاً صغيراً . والوطاويط مثلاً تصدر عنها طيلة
طيرانها أصوات تقاذه مرتفعة الدرجة ولكننا لا نسمعها لأن آذاننا لا تستطيع « التقاط »
الصوت . فأصحاب الجلاء البصري والسمعي يستطيعون فعلاً أن يروا العالم الثاني
ويسمعوه ، فهم يسمعون الموتى الأحياء أبداً يتكلمون ويرونهم يغدون ويروحون . وقد
رأى ألوف من الناس الوسيطة الكبيرة استيل روبرتس فوق منصة قاعة أوبرت ، وقاعة كوين
وهي تصف في دقة وصدق أقوال الموتى وأعمالهم وقد أحاطوا بها فوق المنصة .

وأنا نفسي رأيت وسمعت أقاربي الموتى في بهرة الضوء ، ولكنني مع ذلك لا أدعي أنني
من ذوي الجلاء البصري والسمعي . وقد سمع أولئك الموتى كثيرون من الناس في نفس
الحجرة .

يمكن سماع « الصوت المباشر » للميت خارجاً من الهواء ، ولقد سمعنا ثلاثة أصوات
تتكلم في وقت واحد في أجزاء متفرقة من الحجرة . والصوت المباشر هو الصوت الحقيقي
الميت ، وهو يسمع كما كان يسمع صوته فوق الأرض قبل مماته ويمكن تبينه على الفور .
وأحياناً يتكلم الميت — ذكر آ كان أم أنثى — خلال حنجرة الوسيط الذي يكون
واقعاً إذ ذاك في الغيبوبة ، وقد يكون الوسيط في بعض الأحيان واعياً . ولكن سواء
أكان هذا أم ذاك فلا بد من وجود وسيط كما لا بد في حالة الراديو من وجود بطارية
(أو تيار) . فالوسيط بالاختصار — ذكر آ كان أم أنثى — بمثابة تليفون بعيد المدى أو
راديو . ونحن هنا على الأرض لا نستطيع استعمال جهاز التليفون أو الراديو دون كهربائية .

ولنتجه بعد ذلك الى حجرات التواصل أو معاملته في الجانب الآخر من القبر ، والى من
فيها من الناس لنعرف ما يفعلون وكيف يفعلون .

ففي غرفة التحضير في دنيانا نجد عادةً (أ) وسيطاً أو بطارية القوة جالسا فوق كرسيه ذكراً كان أم أنثى، فإذا كان وسيطاً للغيوبة فإنه يعد نفسه للوقوع فيها، وإذا لم يكن وسيطاً غيبوبة فهو يجلس بارادته واعياً ولكن ساكناً.. (ب) ونجد «الجالسين» أو الزائرين وقد يبلغ عددهم من ستة إلى خمسين (ح) وأولئك المسكفين بحرمة الباب المغلق (د) وبعض العاملين الذين يحضرون ومعهم آلات التصوير وغيرها.

ويكون في الحجرة عادةً فونوغراف لأن الموسيقى تساعد مساعدة عظيمة على ترويض الاهتزاز بين عالمي الأحياء والموتى، وذلك برغم أن الموسيقى توقف حينما تجيء الأرواح لتتكلم.

وأما في الحجرة التي في العالم الثاني فيوجد كما تقول الأرواح وأيدهم ذوو الجلاء البصري والسمعي (أ) الروح المرشد أو الروح المهيمن، وهذا عادةً يكون روحاً صامياً العقل مرهف العاطفة. (ب) ومع هذا الروح جلساؤه من الأرواح وهم أولئك الموتى الراغبون في التكلّم مع الأحياء - والواقع أنه لا موت لأن الجميع أحياء. (ح) حراس الأبواب من الأرواح وهم المراقبون الذين يمنعون في عالم الروح تدخل الأرواح الشريرة أو الماخذة الكذبة الادعاء كما يمنع رجال الشرطة فوق الأرض مخافتي النظام في الاجتماعات العامة أو الشوارع و (د) الصندوق الصوتي الذي يشبه في تأثيره كشك التليفون الذي يدخل فيه الموتى الراغبون في الكلام، وهذا يستلزم مراناً.

ويحمل تليفوننا الأرضي صوتنا الآدمي الهزيل إلى أقاصي الأرض بأجهزة التعديد والتكبير كما هو الحال مع الميكروفون فيستطيع المستمع في أستراليا مثلاً التقاط الصوت ويعمل «الصندوق الصوتي» نفس العمل ولكن بتخفيض درجة اهتزازات صوت الروح المتكلم حتى تستطيع الأذن الأرضية المنخفضة درجة الاهتزاز أن تلمتقطه وتفهمه. وأذكر قرأني مرة أخرى أن «الصوت المباشر» يمكن أن يسمع من كل الموجودين في قاعة كبرى.

وقد حدث أخيراً أن أقيمت اجتماعات عامة في القاعات العامة في انجلترا حضرها ما يزيد على الألف، وخطب المجتمعين «موتى» بأصواتهم المباشرة. وكان من بين هؤلاء «الموتى» الخطباء لزي هوارد والين تري والعلامة أوليفر لودج.

ترجمة

أحمد فخرى أبو الخير

نظرية الذرة

إن فكرة تكوين المادة من ذرات صغيرة جداً ، على اختلاف أنواعها وترتيبها
بهينات مختلفات تظهر بها هذه المادة ، كانت فكرة مرتبطة على زمن فلاسفة قدماء اليونان الذين
نجد شرحاً وافياً عن أعمالهم في كتاب « درس التركيب الكيميائي » تأليف السيدة
المتوفية « فرويند » . وكيفما كان فإن نظريات تركيب أو تكوين المادة لم تكن في العالم
القديم إلا تصورات أو بالأحرى تخمينات غير مبنية على البرهان العملي : إننا لا نسمي
المعجزة الانكليزية المتنبئة مخترعة السيارة لأنها تذبأت أن سيأتي زمن تسير فيه العربات
بلا خيل ، كما أننا لا نعتبر فلاسفة قدماء اليونان مخترعي نظرية الذرة ، فإن الذي
يستحق هذا اللقب الرفيع هو « جون دالتن » الذي ولد عام ١٧٦٦ وتوفي عام ١٨٤٤ للميلاد .
كان دالتن اصناً في إحدى المدارس ، وكان مولده في إيكليزفيلد في مقاطعة كبرلند ،
وقد درس علوم الآداب مثل جميع تلاميذ عصره ودرس شيئاً من العلوم الرياضية ، ولا بد
أنه بوساطة هذه الآراء العلمية قد فهم شيئاً عن تركيب المادة وأطال البحث عندها واطلع
على آراء نيوتن بهذا الشأن ، وأخيراً هذب النظرية ووضعها في قالب شرح فيه بعض الحقائق
التي كانت معلومة وأثبت ذلك بالبرهان العملي الإيجابي أو السلبي الجزئي أن لم يكن السكلي .
ومن الضروري أن نلاحظ أن « دالتن » لم يصل إلى نظرية الذرة بوساطة عمليات أجراها
بل وصل إلى ذلك بالتفكير في إيجاد النظرية أولاً ثم في إجراء التجارب لامتحنها
وإثباتها .

لقد بنى دالتن أهم نقاط نظرية الذرة على ما يأتي :

أولاً — تتألف المادة من عدد كبير من الذرات التي تسمى بالذرات (معنى كلمة ذرة
غير قابل القسمة ومميت الذرات بذلك لأنها اعتبرت غير قابلة القسمة ، كما هي الحالة في
الجزيئات . إن الذرات المركبة من المركبات لدى القسمة ، بلا شك تنقسم إلى ذرات جزيئية
وبهذا المعنى نرى أن الذرة المركبة أيضاً قابلة القسمة أو هي على الأقل أصغر قطعة في المركب
الذي يمكن أن نراه) .

ثانياً - إن جميع الذرات ذات الجزء متشابهة في جميع الاحوال ومختلفة كل الاختلاف عن الجزيئات الأخرى .

ثالثاً - الذرات غير قابلة للائتلاف ، وغير ممكن تكوينها أو خلقها .

رابعاً - يحصل التركيب في تكوين أو تأليف المركب بين الوحدات الصغيرة من اعداد ذرات الجزء المكون .

خامساً - ان جميع الذرات المركبة في المركب متشابهة كل التشابه .

من هذه القواعد (Postulates) لا يمكن الوصول الى النتائج التي يمكن اختبارها بوساطة التجارب مع علمنا انه قد مضى على هذه القواعد زمن لم تكن فيه شيئاً مذكوراً . هذا يجعل في الحال نظرية الذرات مبنية على أساس علمي متين ، ويبرهن هذا على صدق هذه النظرية : لا تنفع النظرية العامة إلا إذا صح اختبارها عملياً ، إما رأساً أو بالوساطة ، ورغمنا عن هذه الحقيقة التي لا ريب فيها نجد ان كثير آمن النظريات التي لم تختبر لا تزال يُرتأى بها مذكورة .

إن أول ما يستنتج من نظرية الذرة يسمى « بقانون التركيب الثابت » يعني ان عين المركب الكيميائي يتألف دائماً من عين الجزيئات الممزوجة بمقدار ثابت الأوزان - ويستنتج هذا من نقاط نظرية الذرة ٢ ، ٤ ، ٥ المذكورة سابقاً . ولما كان هذا أول قانون نصادفه في علم الكيمياء وجب علينا ان نعرف تمام المعرفة ماذا يقصد بكلمة قانون في هذا الموضوع : هذه الكلمة معنى خلاف المعنى الموجود في جملة « قانون الجراء » . ومن العبث أن يظن انه إلى زمن « دالتن » كانت التراكيب الكيميائية لا يجري عليها قانون ، وان الماء مثلاً كان يحتتمل ان يتركب تارة من القصدير والرصاص إذا أريد ذلك ، وأخرى من الهيدروجين والاكسجين . وليس من المعقول أيضاً أن نتصور مجازاة المركب الكيميائي إذا خالف قانون التركيب الثابت (مع ان كثيراً من الكيميائيين في منتصف القرن التاسع عشر كانوا يودون من صميم قلوبهم ان يحكموا على Nitric Oxid إما بالاعدام أو بالأعمال العاقبة لانه لم يطع قانون الأعداد المزدوجة)

لقد عرفنا إذن ما ليس بالقانون الكيميائي وقد بقي علينا أن نقر ما هو القانون الكيميائي ، وهذا سهل جداً إذا أخذنا مثلاً بسيطاً . القانون الطبيعي ان لكل إنسان عينين ، وهذا لا يمنع الانسان من قلع عينه إذا لم يوافقه هذا القانون ، كما انه لا يمنعه من ان يحمل عيناً ثالثة زجاجة في جيبه ، وحقيقة ان للانسان عيناً ثالثة في فم أو أعلى رأسه كما خبرنا عنها علماء الحيوان : ومما تقدم يتضح لنا انه من البديهي أو الطبيعي ان يكون

لكل انسان عينان وهذا اختصار في الاختصار التجريبي وهو ينطبق كل الانطباق على القوانين الكيميائية ومعنى قانون « التركيب الثالث » انه لم يكتشف للوقت الحاضر مركب يختلف التركيب ، ولو وجدت هذه المركبات لاختفى القانون — ومن هنا يرى الفرق بين قانون الجزاء والقانون الكيميائي : فلو حكم على انسان بغرامة مقدارها جنيته واحدا لتركه كلباً يتجول في الاسواق نجد انه لا يحصل للقانون بعد ذلك أدنى ضرر .

لنبحث الآن عن العلاقة بين قانون التركيب الثابت ونظرية دالتن في الذرة : حقيقة الامر انه اذا صدقت النظرية فيكون من المشاهد ان كل ما يتألف منه المركب الكيميائي يجب أن يكون دائماً ثابتاً . هل من الضروري إذا وجدنا بوساطة التجربة أن ما يتألف منه المركب الكيميائي هو ثابت وهل نظرية الذرة حقيقية ؟ فلو فكرنا قليلاً نجد أن هذا غير صحيح وقليل من التروي يجعلنا نعتقد ان ذلك ليس كذلك كما هو الواقع : لنفرض أن رجلاً كان مسافراً في القطار ، ومن هذا يمكننا أن نتصور نظرية السفر عليه . فننتظر بالطبع أن يأتي الرجل الى المحطة ويشترى تذكرة السفر وان يأتي قبل قيام القطار وان يسرع اذا كان متأخراً وان يحمل معه حقيبة . ولنفرض الآن اننا نرى رجلاً آخر سائراً الى جهة المحطة فهل نستنتج من ذلك أنه سيسافر في القطار ؟ لا شك : لا . فلربما ذهب هذا الرجل ليقابل صديقاً له أو ليطالب بثمان ما أتلّف له من البضاعة أو لغير ذلك من الأسباب ، الاّ أن ذهابه نحو المحطة ينطبق على نظرية ذهابه بالقطار ولكن لا يثبت ذلك . لنفرض أن الرجل كان يركض وكان قد قرب وقت قيام القطار وكان يحمل حقيبة وذهب الى مكتب صرف التذاكر ليشترى تذكرة السفر فهل تثبت النظرية الآن ؟ كلا . فلربما كان الرجل مأجوراً من قبل أحد اصحاب الصور المتحركة على ذلك العمل أو كان معتوهاً ، ولا تتأكد حقيقة ذهابه بالقطار الاّ إذا رأيناه يصعد اليه ويتخذ له مكاناً فيه : فهذا يثبت سفره ويجعل هذه النظرية أصح من نظرية صاحب الصور المتحركة أو نظرية المعتوه وتقبل هذه النظرية لعدم وجود الاتبات الكافي للنظريتين الآخرين .

هذه تماماً عين الحالة التي وجدت فيها « نظرية الذرة » في القرن التاسع عشر ، فلا أحد رأى الرجل يصعد الى القطار ويسافر فيه مع أن البرهان كان في الحقيقة قوياً ، ولم توجد شهود الحال حتى في أول سني القرن الحاضر .

عالم الدماغ

شعر علي فلفي

الرأس يُحسب سيد البدن فيه الدماغ الواضع السنين
ملكٌ محتمة أوامرُه ما كان في مرٍّ وفي عِلن
والجسم مملكةً منظمَةً أحكامها محدودة الوطن
وجنودها الأعصاب حارسة أطرافها المحصاة في مدن
والعقل عدتها وعاملها المسـؤول عن قبجـر وعن حسن
ما العقل غير تفاعل بخلا يا المخ إذ تصحو من الوسن
قالوا الجمال محرض لهوى القلب الذي أن يستحب في
والعين تختلق الجمال اذا ما أبصرت بدرأ على فن
والقلب يشكو العين أن بصرت والعين تشكوه كفتن
كل بسحر الحب متَّهم من منهما صحر الغرام من؟

في العقل لا في القلب علته ما العين الآ علة الفتن
في بؤرة في المخ مركزه يملئ شعور الطهر والدرن
وتحصنه فيه غريزته أن يستحب مشيقة الغصن
تطفو العواطف في الفؤاد اذا هاج الجوى أشواق ذي شعبن
كلّا فما في القلب طائفة إن العواطف في الحجبى القطن
في اللب كل مبريرة نشأت تنحاز بين الود والضغن
اللب مصدر كل باعثة للخير أو للشر والظن
أما المشاعر فهي عدته رسل المنى والحظ والمُن

تجري بها الآمال منقلة بالشوق والآلام والهن
أو بالشعور توزعته يد الشهوات والأفراح والحزن
السكرب والبرحا وكل أسي هي في النخام وليس في البدن
والحسن والطرب الرخيم ها في النفس لا في العين والأذن
ما المرء الا العقل مبتكراً أحداته والجسم للسكن
هو لعبة الأقدار تنفضه فيميل بين الله والوثن
فتلاطمت فكر الأنام بها كتلاطم الأمواج والسفن
وتضاربت فيها رغائبهم كتضارب الاسياف والجن^(١)
يبغي السخيف منى فتمحقها من دونه أمنية الزكن
قيم اختلاف الناس في سخف ولم اختلاف الناس في الفطن
ولم اختلافهم بفطرتهم ولم اختلاف الشكل والسجن
وهم بنو حواء وأدمها ودماؤهم دم شكلها الحسن
لا بل بنو الأرض التي اختلفت ذراتها بالجذب والوهن
لا تعذل النزعات مرغمة لم ما لدى الا كوان من صين
المرء غير مخير فاذن بيد الطبيعة مقبض الرسن
ما العقل حراً في تصرفه هو تحت أمر حوادث الزمن
دافوا المسيء ولا اختيار له والدرّة الرعناء لم تُدَن
هذي الطبيعة لا قياد لها تمضي بلا رشيد ولا فطن
من ظلم ذي الدنيا وما عقلت ان الجماد سطا على الذهن
نقود الحرار

شوقي وحافظ

عاشا يتردد اسمهما معاً زمناً ، تعترض حياتهما عواصف تنافس أحياناً ، وتمرُّ بها لسمات صفاء أحياناً آخر ، ولكنهما يشعران أنهما مبدآن بعضهما بعضاً في أداء رسالة واحدة . وجسديتهما إلى طريقهما عرائس الشعر وطبيعة العصر .

ومانا في عام واحد ، بل لم تستوفِ الشهور الثلاثة تمامها بعد وفاة حافظ حتى كان شوقي قد انتقل إلى جوار ربِّه بعد أن رثى رفيق جهاده الشعري بأروع مرثيه ، وذلك منذ خمسة عشر عاماً ، كأنهما شعرا أنهما أدبيا رسالتهم ولن يستطيع واحد منهما أن ينهض بعد الآخر بعبء تلك الرسالة وحده بعد هذا الجهاد الطويل . ولقد ترك كلُّ منهما أثره في جيله ، كما ترك ذلك الجيل أثره في شعرهما بحسب طبيعة كل منهما .

قضى شوقي زهرة حياته ناعم البال فكان لذلك أثرٌ كبير في شعره الأول وفيما حفلت به دواوينه في تلك الحقبة حتى اختلفت الأيام وتغيرت عليه فأبعد عن مصر ، وهنا انتقل شعره نقلةً أخرى ، وتأثر بمؤثرات أخرى .

أما حافظ فقد قضى زهرة حياته على غير ما قضاهما شوقي ، محروماً من أهله وعشيرته ثم محروماً من التقدير حتى استطاع أن يشقَّ طريقه . وقد وجد حافظ الطريق التي كان يريد ملوكها إلى القصر مخفوفة بالعراقل على حين هيئت لشوقي ، فاتجه ببصره ناحية الشعب ، وكان لهذا الاتجاه أثرٌ بارز في شعره مال به إلى التملُّق باللفظ المؤثر القريب دون المعنى المبتكر البعيد ليصل صوته إلى أسمع الناس في حين اهتم شوقي بالمعاني مع عنايته بالجري وراء الغريب من اللفظ .

ولقد واثت شوقيًا الظروف فتهيات له ثقافة طالية واطلاع بعيد على حوادث التاريخ ،
وأكسبته رحلاته وعلاقاته برجال القصر ومعرفته بأساليب السياسة ومداوراتها وتياراتها ،
ما لم يتهيأ لحافظ حيث شغلته حياته عن كسب المعرفة الواسعة إلا فيما كان خاصًا بالأدب
العربي من مطالعته في أمهات الكتب العربية فاكسب محصولًا وافرًا من فصيح القول
ومفردات اللغة اختزنها عقله الباطن وكان يعدُّه بها بين حين وحين ، ومن ذلك تبدو ديباجة
حافظ قوية منذ نشأته الشعرية عن ديباجة شوقي في بعض قصائده الأولى . لذلك استطاع
شوقي لنفسه طريقته في اختيار الكلمات الغريبة المهجورة ، كما قدمنا ، ليعطي هذا النقص .



على أن موسيقى شوقي التي وهبها كانت أقوى رنينًا من موسيقى حافظ ، ولذلك نجد
الالفاظ العويصة التي كان يلجأ شوقي إليها كما يلجأ المترف الثري إلى اقتناء التحف
القديمة تُصنَّهرُ في بوتقة هذه الموسيقى القوية فتتحول إلى حركة بعد جود ، وحيوية
بعد موت . ومن هذا كان شعره أميل إلى الغناء من شعر حافظ حتى أن مرثيته لم تخل
من موسيقى تجنح إلى الرنين الراقص مما قد لا يتفق مع المناسبة كما في مرثيته لعلي أبي الفتح .
غير أن شوقيًا ظلَّ يقوِّي ديباجته لمتفق مع قوة معانيه وأخيلته في حين لم يُعْنِ
حافظ بالمعاني ليزيد ديباجته قوة فتأخر عن شوقي في كثير من ضروب القول .



واستطاع شوقي أن يأخذ من آثار ثقافته لشعره ما ساعده على التفرد بالناحية
التاريخية العجيبة في شعره ، والحكمة التي كان يبثها في ثنايا قصائده . وظهر أثر هذه الثقافات
في أخريات حياته حيث اتجه اتجاهًا جديدًا نحو فن جديد ، هو الفن القصصي الشعري .
أما حافظ فكانت ثقافته العربية ، وظروفه الخاصة ، حائلًا دون الالتفات إلى ابتكار
جديد ، وإن كان هناك زوع في نفسه إلى شيء من هذا بدا في هذه الأبيات التي يخاطب
فيها الشعر :

ضمت بين النسي وبين الخيال يا حكيم النفوس يا بن المعالي
ضمت في الشرق بين نوم وجود لم يفقوا وأمة مكسال

قد أذالك بين أنس وكأسٍ وغرامٍ بطبيعةٍ وغزالٍ
ونسيبٍ ومدحٍ وهجاءٍ ورثاءٍ وفننةٍ وضلالٍ
الى أن يقول :

آن يا شعر أن تفك قيوداً قيّدتنا بها دماء المحال
فارفعوا هذه الكأتم عنا ودعونا نشمّ ریح الشمال

فهذه الرغبة لم تكد تظهر في نفس حافظ حتى خبت لأنها لم تجد لها من عزيمته ما يدفعه إلى تغيير أصاليب كتابته وموضوعات شعره ومحاولة تجديدها ، بل ظل يتناول ما كان يتناوله هو ويتناوله غيره من الشعراء ، وكان في استطاعته أن يجعل لهذه النورة في نفسه أثرًا في شعره ، ولكنه لم يفعل ، ولعله حاول ولم تسعفه مواهبه — كما أسعفت مطراناً — فوقف دون تقدم ، ولكن شوقياً حاول ، ولم يثنه شيء ، ولم يحل النقد الذي وجهه إليه دون المضي في سبيله ولم يستطع صرفه عن محاولاته .

وكانت طبيعة شوقي التي تساعده على نظم الشعر حيث وجد من أسباب الأخذ بكثير من الألوان الجديدة لشعره في حين كانت طبيعة حافظ التي تؤثر الخلوة ، وتؤثر اللفظ على المعنى لم تهيه له الوقوع على المعاني العابرة بالعين التي يقع عليها شوقي الذي لا تقف الحركة والضجيج دون تهيبه للقول . وفي هذا دليل آخر على مرعة التأثر والحساسية عند شوقي عنها عند حافظ .



غير أن شعر حافظ كان أقرب إلى التعبير عن آلام المصريين وآمالهم من شعر شوقي الذي كانت عواطفه متجهة نحو العثمانيين تبعاً للسياسة التي كانت غالبة وقتذاك والظروف التي أحاطت به والإحساس بانتسابه اليهم ، فكان شعر حافظ السياسي صدى صوت مصر ، ينطق بعواطفها ويتجاوب مع صيحاتها . وكانت لحافظ جرأة في تناول تلك الموضوعات لم تهيباً لشرقي مثلها ، وهو الرجل الذي يجاري التيار الموافق لسياسة القصر وقتئذ .

على أن مجالس حافظ المرححة ورغبته في تقوية ملكة الدابة والظرف في نفسه ليستطيع الوصول إلى ما كان يتمنى من مجالس العظماء والكبراء كان لها أثرٌ بارزٌ في شعره حتى الوفاي

منه، فقد كان يميل الى النفكة والتندر كما يتجلى في بعض قصائده التي وجهها الى كرومر على أثر حوادث دنشواي وإلى مندوب بريطانيا الذي خلفه وغير ذلك . في حين كانت الحكمة تغلب على شعر شوقي إذا مسّ موضوعات كهذه لأنه لم تكن له مثل روح حافظ المرح الطروب الطريف ، ولأن حياة القصر لوّنته بكثير من ألوان القيد والتحرّز ، فكان أميل الى الحكمة كما كان أميل الى المداراة . ومن ذلك لم تلق قصائده بين الشعب ما لقيت قصائد حافظ . ومن يستمع الى فكاهات حافظ ونوادره يجد فيها من الحكمة ما كان جديراً بأن يزرعها شعره ، ولكنها كانت تجد المتنفس لها في تلك النوادر في حين تجد الباب موصداً أمامها في شعره إلاّ في النادر .

بيد أن هناك جانباً من شعر حافظ يبرز من عظمة شعره السيامي ويسقي الى وطنيته التي كانت تحفره قبل ذاك الى التعبير عن آلام المصريين ، وهي تلك القصيدة التي وجهها الى السلطان حسين يدعو فيها الى التعاون مع الانجليز ، وكذلك قصائده التي كان يوجهها الى مندوب بريطانيا في مصر وكان جديراً بحافظ أن يكون أكثر وطنية وشعوراً بالاياء أو يسكت ان لم يجد مجالاً للقول ، ولا يحتاج بأن الظروف كانت تدعو — وقتئذ — الى مثل هذا القول ، لأن له من شعره السابق الذي وجهه الى ايطاليا والى دول الغرب ما كان جديراً بأن يملك عليه كل السبل فلا يفر الى طريق معوجة لا يسلم فيها من الشطط .



وقد استطاع شوقي بعد عودته من المنفى أن يتشرب روح الشعب وأن يشاركه في عواطفه وميوله ، ويعالج هذه الناحية فوفق في ذلك ، وبرز شعره من تلك الآونة الى آخر حياته معبراً عن آمال مصر وآلامها وبخاصة في ظروفها الأخيرة ، بل لم يقف به الأمر عند تناول الحوادث في مصر ، فتجاوز هذا الأفق الى حوادث الشرق يستلهمها فكان المترجم عن مشاعر الشرقيين ، وانهل فرصة مكروت زميله فأطلق لخياله العنان وارتاد بفنّه نواحي متعددة من سياسية واجتماعية فأحسن فيها القول وأجاد ، على حين استلهم حافظ الى الصمت ، وكان في استطاعته — اذا فرض أنه طالق الشعر تحت ضغط قيود الوظيفة — أن لا يحرم

قيثارته العزف عليها في نواحي أخرى كأن يرسم صوراً للشقاء الذي يلازم الحياة في مصر ، وهو الذي خبره ولمسه وعاش فيه زمناً ليس بالقصير ، وكان من الأسباب التي دفعته الى نقل رواية البؤساء الى العربية .

أما وصف الطبيعة فقد برز فيه شوقي عن حافظ ، وإذا كانت قصيدة حافظ عن رحلته الى إيطاليا التي يقول فيها :

عاصفٌ يرتمي وبجر يغيرُ أنا بالله منهما مستجيرُ

تعتبر لوحة رائعة صادقة التصوير زاخرة بالأحاسيس ، فإن مثل هذا اللون من الدقة في التصوير والتفرغ لا يتقن الصورة قليلٌ عند حافظ خلافاً لكثرة عند شوقي ، فإن دواوين شوقي زاخرة بألوان تتفاوت قوة واقتداراً وفتنةً وتفناً في زج هذه الألوان بحسب تمكن الشاعر من فنّه ، فالصور التي كان يرسمها خلال رحلاته الى الاسكندرية لا ترتفع الى مستوى الصور التي رسمها فيما بعد في قصائده عن النيل وغاب بولونيا وغير ذلك ثم زادت قوة ونصوعاً وفتنةً وجمالاً في لوحاته عن لبنان وزحلة وبيروت وفي أبيات متناثرة خلال قصائده ، الأخرى في وصف الآثار .

على إننا إذا انتقلنا الى جانب من جوانب شعر الرجلين ، وهو الرثاء ، وجدنا شعر حافظ وافراً في هذه الناحية يكاد يستغرق نصف ديوانه — على حدّ قوله — ووجدنا في هذه الكثرة صدقاً في اللوعة والإحساس بالألم تفقد من يرثيهم إذ كان حافظ مريع التأثر ، تركت له حياته الأولى وما قاسى فيها آثار حزن دفين في نفسه لا يكاد يحسّ بالموت يتخفف واحداً من معارفه حتى يحسّ بالألم عميقاً . ولعله كان يشعر في قرارة نفسه أن أصحابه ومن عرفوه وربطت بينه وبينهم صداقة متينة لم يعرفوه لجام أو مطمع ، وإنما عرفوه لأنهم قدروه حق قدره ، فهو حين يفقد واحداً من هؤلاء إنما يفقد قلباً يزخر له بحب وعطف ونفساً تنطوي له على محبة وتقدير ، ولأن نفسية حافظ كانت صادجة كل السذاجة ، طيبة كل

الطيبة ، يقبل على من يحبه كل الإقبال ويغضب مريعاً ، ولكن ما تبدوله في الأفق ظاهرة من مظاهر فرح أو أذى لصاحب أغضبه حتى ينسى كل شيء ليشارك صاحبه في فرحه أو حزنه ، ومن ذلك كانت نفسه صريحة واضحة لا غموض فيها بعكس نغمة شوقي الغامضة . فقد كان يحاول طمس الكثير من معالم نفسيته مصطنعاً الحكمة في كثير من المناسبات . ولم يكن اشوقي مثل عاطفة حافظ الحزينة الموروثة عن حياته الأولى لأن حياة شوقي كانت حياة ترف ، وكان أكثر من يرثيهم أصحاب مناصب أو جاه ربطت بينه وبين بعضهم صداقات دعت إليها ظروف العمل أو الجوار أو الاتصال بالسرائي أو كانوا من الذين أرادوا أن يصلوا بينهم وبينه طمعاً في نفع ، أو طلب إليه رثاء واحد منهم فأجاب . ولا نحس بالالوعة في مراثيه إلا في قليل منها كمرثيته لأمه ومصطفى كامل وعمر لطفي ويعقوب صروف وأمين الرافعي وفي أبيات قليلة من بعض قصائد أخرى ، وذلك للروابط القوية التي كانت بينه وبين هؤلاء من شدة تعلق ودوام صحبة وتجاوب فكر ، والإحساس العميق المتبادل بينهم . والذي كان عاملاً من عوامل الاندماج بين حياة هؤلاء . لأن فيها من حياته أشياء أحسن أنه فقدوها إلى النهاية .

أما مراثيه الأخرى فكانت عنايته بتحسين الاطار التي توضع فيه صورة الفقيد أكثر من العناية بالصورة نفسها ، وكانت تتردد في معظم هذه المراثي معاني واحدة لأنه كان يلجأ إلى الحكمة ليسترضع الأحاساس بالجمعية .

ومن هنا كان لمراثي حافظ من القوة ما لم تكن لبعض مراثي شوقي ، ولأن حافظاً كان يشجع بكل شعوره ، وكان الألم ينصب في نفسه انصباباً كما يقول في مرثيته لسعد .

وهناك وجه اختلاف بين حافظ وشوقي ، ذلك ان الأخير عند ما تخلص من تقاليد وظئته وقيودها - أو خلعته الأقدار منها - وارتحل إلى المني بحث فيه هذا الخلاص تحرراً من كل قيد ، وأكسب التنقل روحه وجسمه طلاقة وانطلاقاً ، فكان في كهواته لا يستقر في مكان كالطائر فاندفع يغرد ، ويلون في تغريده ، في حين قيدت الوظيفة حافظاً فمكت زماً عن التغريد ، ولم يكن لجسمه وروحه من التنقل إلا ما بين مقر عمله ومجالس

أنسه وصحابه فأثر ذلك فيه عند كهولته فسكت ونحس قينارته على النقيض زميله الذي مات وهو لم يترك قينارته ولم يهجر عرائس شعره .

فالحياة كانت في شوقي مدخرة بينما استنفدها حافظ فلم تواته في أخريات حياته ، وبذلك فقد شعره الأخير تلك القوة التي كانت تزخر بها أشعاره الأولى .

واتفق الاثنان — شوقي وحافظ — في ظاهرة تبدو في ناحية من شعرهما تلك هي برود العاطفة وجفافها نحو المرأة ، وعدم التأثير بها تأثر الغزلين الحقيقيين ، فشعر شوقي الغزلي وإن كان وافرأ عن شعر حافظ الغزلي الصحيح لا يمتاز عنه من تلك الناحية بشيء فهو عند هذا تقليدي كما هو عند ذاك ، لا روح فيه ولا حرارة ، فهو رصف لكلام عذب جميل . على أن الموسيقى القوية التي امتاز بها شوقي — كما قلنا — كانت تمتد بعض أشعاره في هذه الناحية وبخاصة ما نظمه بعد فوات الشباب بما يهبه العاطفة المتقدمة . وكثير من شعره الذي لا يمتد إلى الغزل بصلة يغنى الآن ، لأن الروح الغنائية فيه كانت متغلبة وربما أمكن التغني بكثير من شعر مرثيته ... ولن يحددنا شعر حافظ في الناحية التي نتكلم عليها كما يحدد شعر شوقي لأن شعر حافظ خال كل الخلو من حب المرأة . أما شعر شوقي فقد يحدد بعض الناس أول وهلة ، ولن ينهض حجة قولنا في قصيدته الثائية عن لبنان التي افتتحها بالغزل حيث قال :

فازور غصباناً وأعرض نافراً حال من الغيد الملاج عرفته

فهذا التعبير لا يدل دلالة صريحة على دراسة المرأة عن تجربة ومعرفة ، ولكن عن طريق قراءة أو سماع لأن شباب الشاعر كان بعيداً عن التأثير بالمرأة تأثراً حاسماً ، وتبدو ألوانه باهتة للباحث الفاحص ، ولم تظهر في آثاره تلك الحرارة التي يحاول أن يثيرها في شعره في الطور الأخير ، فكيف تحيي بعد أوانها ؟

لقد كان شوقي سريع التأثر عن طريق قراءاته وكانت تنطبع على صفحات ذهنه من تلك القراءات صور عديدة لشعراء عديدين ، فهو يقرأ مثلاً لابن زيدون مقطوعته :

ودّع الصبر محبّ ودّعك ذائع من سرّه ما استودعك
 ويعجبه منها موسيقاها وروحها الغنائية التي هيأتها لذلك فيقول :
 رُدّت الروح على المضنى معك أحسن الأيام يوم أرجعك
 أو يقرأ للحصري القيرواني :
 يا ليل الصب متى غدّه أقيام الساعة موعده
 فيعارضه بقوله :

مضناك جنّاه مرقده وبكاه ورّحم عودّه
 ويتابعه في هذه المعارضة كثير من شعراء عصره .

وقد يبدو أن ظروف شوقي التي كانت تدعوه الى المحافظة على مكانته في القصر كانت
 من الأسباب الداعية الى المحافظة أيضاً على عدم اتصاله بالمرأة أو اذاعة شيء من التعلق بها
 نعتماً للوقار كما في قوله :

لك أن تلوم ولي من الأعذار أن الهوى قدّر من الأقدار
 ما كنت اسلم للعيون سلامتي وأبيع حادثة الغرام وقاري
 وفيها يصف رؤيته لحسناء من حسان الاستانة مرّت به وهو على الخليج فقال :

مرّت بنا فوق الخليج فأسفرت عن جنّة وتلفست عن نار
 في نسوة يوردن من هثن الهوى نظراً ولا ينظرن في الإصدار
 عارضتهن وبين فلي والهوى أمر أحاول كتمه وأداري

ولكن أي وقار يحول بين الشاعر وبين أن يصدق بتغريد قلبه ، وأي تقاليد تمنع
 حتى أصحاب الحكم من أن ينزلوا على حكم الهوى ؟

لقد سافر شوقي الى فرنسا في مستقبل شبابه القويّ ، وعاش هناك فترة من الزمن . وإذا
 قدّرنا البيئة التي خلفها شوقي — بيئة المحافظة التي لم تكن للمرأة فيها ما لها الآن من ظهور
 بألوان الفتنة ، وقدّرنا الى جانب ذلك تلك البيئة التي تحوّل اليها ، وفيها ما فيها من ألوان
 الفتنة الظاهرة دون خمار ، واللاعبة دون ستار ، والمتفتحة عن جنّات تندلع فيها النار ، كان
 لنا أن نقول إنه كان على شوقي أن يهتف ويهتف من أعماق نفسه في شبابه هتاف الروح

المكتوي بلهب هذه الفتنة . فهل كان لشبابه هناك — وهو الشاعر الغرد الذي لم تكرر له من القيود ما يمنعه من البوح بآثار المرأة في نفسه في تلك الحقبة ، حقبة القلب — ألوان شعرية ، بارزة فيها آثار المرأة كما تظهر عند شعراء الغزل الحقيقيين ؟ هذا ما نحاول الكشف عنه .

إن في الجزء الثاني من ديوانه قصيدتين ، واحدة عن « باريس » والأخرى عن « غاب بولونيا » وهاتان القصيدتان كتبتا بعد فوات عهد الشباب بزمن بعيد كما يظهر من خلالها ، ما في ذلك شك . فأما الأولى فكل الحديث فيها منصب على تلك المدينة الساحرة ، ولا يمكن لشاعر أو غير شاعر أن يذكر باريس دون أن يذكر غيدها ولو كان من المتقشفين . وشوقي يعرج على ذكر الهوى في تلك المدينة الساحرة فيقول هذه الأبيات :

يا مكثي قبل الشباب وملحي ومقيل أيام الشباب النشوك
ومراح لذاتي ومغذاها على أفق كهجات النعيم ضحكوك
ومماء وحي الشعر من متدفق سلس على نول السماء محوك

فالذي يصرح بحمق الشباب في هوى حين يقول « ومقيل أيام الشباب النشوك » لا يستعصى عليه أن يصرح بأكثر من ذلك .

وأما قصيدته « غاب بولونيا » فهي ذكرى ماودته بعد الشباب على أثر زيارة لهذا المكان ، فبعثت فيه تلك الزيارة ذكريات قديمة ، ولكن أين أثر هذه الذكريات القديمة في شعره ؟ إنه يقول :

يا غاب بولونيا ولي ذم عليك ولي عهد
زمن تقضى للهوى ولنا بظلك ، هل يعود ؟
حلم أريد رجوعه ورجوع أحلامي بعيد
وهب الزمان أعادها هل للشبيبة من بعيد ؟

ثم بعد أن يصف ما كان له من ليالٍ هناك حديثها الوتر والعود ، يأخذ من صور الطبيعة

مادة لقصيدته ، وقد سرى في فضاء هذا المكان ، والناس نيام والسكون هاجم ، يتنقل من مكان الى مكان

حتى إذا دعت النوى فتبدد الشمل النصيد
بتنا ومما بيننا بحر ، ودون البحر بيد
ليلى بمصر وليلها بالغرب ، وهو بها سعيد

فهذه القصيدة وليدة الذكري التي خطرت ، وهو يمر بهذا المكان ، وقد ودّع شبابه ،
ومكان كهذا لا يمكن استعيد فيه إلا إنسان ذكريات شبابه إلا ويعطف ناحية الهوى سوائه
أكان لهذا الهوى أثر في نفسه أم لم يكن ، وسواء أعب من كؤوص الهوى كما يعب الشعراء
فتبقى النشوة خالدة أم عب منها كما يعب كل إنسان فتتضي النشوة سريعاً ولا تترك أثراً .
وإلا فأين أثر تلك التي خلقها هناك عند عودته الى مصر ؟
أين أثرها في شعره في مرحلة الشباب ؟

لا شيء ! ولعل الغموض الذي كان يحيط بنفس شوقي كما أسلفنا القول في ذلك ، والذي
كان يدفعه الى اصطناع الحكمة ، كان يدفعه الى أن يقول شيئاً كهذا في الغزل ليستريح به ضعفه
في هذه الناحية .

لقد عاش هذان الشاعران زمناً ليس بالقليل يصطحبان بضروب من القول في ضروب
من ألوان الشعر السائدة في ذلك الجيل ، وكانا يختلفان في أشياء ويتفقان في أشياء ، ويتفرد
واحد منهما آنأً بناحية ويتفرد الآخر آنأً بناحية أخرى ، ولكنهما - لا شك في ذلك -
كانا يشعران في صميم نفسيهما بأن هذا لا بد منه لذاك ، وإن التنافس الذي كانت تخلقه
بعض الظروف بينهما ضرورة لحياتهما حتى انتقلا من هذه الدار ، وقد تركا فيها أثرهما
للأجيال ثورة تفحص وتمحص بيد النقد التزيه ، بعد أن نقضا أيديهما من الدنيا ، ونفض
الناس أيديهما من الرياء لهذا أو ذاك .

هل يكفي الخروج

من كتلة الاسترليني

لتحقيق استقلال مصر المالي (١)

سادتي : هل يكفي الخروج من الكتلة الاسترلينية لتحقيق استقلال مصر المالي ؟ هذا هو السؤال الذي أحاول أن أجيب عنه في هذه المحاضرة . وأبادر فأقول إنني لم أكلف نفسي معالجة هذا الموضوع الخطير ظناً مني أن في استطاعتي معالجته . وإنما هي خواطر من حق وحق كل مصري أن يبدي أمثاله ليساهم بها في حل المشكلة التي نعانيها جميعاً سواء كننا اقتصاديين أو غير اقتصاديين فنيين أو غير فنيين ، فمن سوء الحظ - أو حسن الحظ - أن الجميع سوائاً أمام مشكلة اليوم .

لست أتي أذن محاضرة اقتصادية فنية . ولكنني فقط استعمل حتى كمصري في معالجة مشكلة يعانها كل مصري .

وعند تناول الشؤون المالية يجب أن نتجرد من أي عامل سياسي أو عاطفي ، سيما ونحن في هذا النادي الذي يعتبر بحق الندوة الفنية للشؤون الاقتصادية ، فهنا تبحث المسائل من ناحيتها الفنية فقط دون التفات للاعتبارات الأخرى فالحكم في مسائل المال ينبغي على المصلحة وكما هو في حالة الفرد هو كذلك في حالة الأمم . ولا شك أن المنازعات التي توجد بين الأمم ما هي إلا من أثر السعي لتحقيق المصلحة المادية لبعضها فهي الهدف الذي ترمي إليه كل دولة قرأنا عن سياسة الحكومة الخاصة بالنقد وهي فيما ترمي إليه من العمل على تحقيق استقلال مصر المالي تتفق في غايتها وما يصبو إليه كل مصري

إن الذي يشغل الأذهان الآن هو هل أفادت مصر من قرار الخروج من كتلة الاسترليني وهل يعتبر هذا القرار محققاً لاستقلالنا المالي ، وهو الزعم الذي تبادر إلى أذهان الكثيرين عند ما تلقوا خبر خروج مصر من كتلة الاسترليني .

الذي ندرك أن هذا القرار يعني أو لا يعني استقلالنا المالي ، يحسن أن نعرف ما هو الاستقلال المالي وما هي شرائط تحقيقه .

(١) محاضرة ألقاها الأستاذ احمد عثمان بك بنادي التجارة الملكي بمصر مساء الاحد ١٢ أكتوبر ١٩٤٧

يمكننا أن نعرف الاستقلال المالي تعريفاً سهلاً بسيطاً بأنه الحالة التي يمكن فيها للسلطات القائمة على مراقبة النقد والائتمان اتخاذ الوسائل اللازمة لتحقيق التوازن في البناء الاقتصادي والمالي للدولة بكل حرية واستقلال .

والاستقلال المالي للدولة ما لا يكون بمقدار ما تملك الدولة من ديون على الغير أو حتى ما لديها من احتياطات ، وإنما يجب أن يكون هذا الاستقلال مدعماً ومستنداً الى ثروة حقيقية متجددة ناشئة عن الانتاج المستمر — فليس غنياً من يملك عشرة آلاف جنيه كراس مال لا يوتي ثمراً إذ أنه بعد عدد من السنين قل أو كثير سينفذ ماله ويتركه معدماً — ولكن الذي يمكنه أن ينتج ألفي جنيه سنوياً يمكن اعتباره غنياً .

ومثال ذلك بين الدول سويسرا التي تكاد تكون فقيرة في معظم الموارد الطبيعية — ولكنها عوّضت هذا الفقر بغنى بالغ من نشاط أهلها وافتقارهم لصناعاتهم مما جعل لمنتجاتها شهرة عالمية ومكانها من أن تستورد الصلب من إنجلترا ثم تصدره اليها في شكل آلات دقيقة الصنع بأعلى الأثمان — فطن الصلب تشتريه سويسرا مثلاً بعشرين أو خمسة وعشرين جنيهاً من إنجلترا ولكنها تحولته الى ساعات جميلة ودقيقة تبيعها الى إنجلترا نفسها وغيرها من بلدان العالم نظير آلاف الجنيهات .

هذه هي الثروة الحقيقية — ثروة الانتاج ، أو بعبارة أخرى المقدرة على الانتاج . وقياس الاقتصاديون مقدار ثروة بلد ما بقدرته هذا البلد على الانتاج .

فثروة الانتاج هي الأساس الذي لا يمكن بدونه تحقيق الاستقلال المالي وقد دلت التجارب على أنه لتحقيق الاستقلال المالي يجب أن تكون هناك اداتان :

الأولى : غطاء قوي للنقد — والقوة هنا تقاس بقابليته للتحويل الى عملات أخرى .

والثاني : بنك مركزي يكون له من السلطة والاحترام ما يمكنه من الاشراف على توجيه سياسة الائتمان الداخلي .

أما البنك المركزي فهو مسألة قد أثير بحثها مراراً ولم يعد هناك محل لتكرار الكلام فيها ولكنني فقط أود أن أنبه الى فكرة صيغت على أذهان الكثيرين وهي ان البنك المركزي معناه تأمين البنك الأهلي .

والواقع ان التأمين لا علاقة له مطلقاً بوظيفة البنك المركزي ، فالتأمين سياسة جديدة نادت بها في السنوات الأخيرة بعض المبادئ الاشتراكية ترمي بها الى سيطرة الدولة على المرافق العامة سواء كانت مناجم أو سكك حديد أو بنوكاً حتى التي لا تقوم منها بوظيفة البنك المركزي .

وقد قام بنك إنجلترا بوظيفته كبنك مركزي خلال السنوات الطوال دون أن يكون مؤمماً، ولم يطمع بهذا الطابع إلا من عام تقريباً نتيجة تنفيذ سياسة العمل الاشتراكية .
وسواء أتمت الفكرة بتأميم البنك الاهلي أم بإنشاء بنك جديد أم بتحويل بنك آخر إلى بنك مركزي ، فالمهم لدينا أن يوجد هذا البنك وان يكون من القوة والمكانة بحيث يمكنه أن يؤدي بكفاءة الوظائف المفروضة على البنك المركزي .
ولنتكلم الآن بشيء من الايضاح عن الغطاء النقدي .

فالمعروف ان الغطاء قد وجد عند اصدار البنوك بدلاً من التعامل بالنقد المعدني لكي يعطي الثقة للمتعاملين ، ولكنه تدرج مع الزمن لكي يصبح في الواقع ضماناً للدول الأخرى على القدرة على سداد المدفوعات الخارجية .

فاذا كانت صادرات بلد ما أكثر من وارداته فهو ليس في حاجة الى ان يدفع شيئاً الى غيره من الدولار، بل على العكس من ذلك فهو يستقبل اما ذهباً أو عملات يراها جديرة بثقته ويستطيع أن يحولها للبلاد الأخرى فتقبلها .

أما اذا اختلف الوضع بأن كانت واردات ذلك البلد أكثر من صادراته فعليه أن يسدد الفرق إما ذهباً وإما نقداً مقبولاً من البلاد الدائنة .

فما هو حال غطاء نقدنا الآن - أخشى أن يكون غطاءً وهمياً أكثر منه حقيقياً ، فالغطاء بأكمله فيما عدا بضعة الملايين من الذهب عبارة عن سندات على الخزينة البريطانية وسندات مصرية . فلو أردنا تطبيق وظيفة الغطاء التي شرحناها سابقاً على هذا الوضع لاتفصح لنا ما يأتي :

تزيد وارداتنا في الوقت الحاضر على صادراتنا . وكنا نقوم بتغطية الفروق من أرصدة مصر الاسترلينية ، أما بعد تجميدها فلا مناص من دفع الفروق بنقد مقبول - والطريقة الطبيعية هي أن يبيع البنك الاهلي المصري من سندات الخزانة المودعة لديه كغطاء للنقد حتى يقوم بسداد المطلوب من مصر ، ولكن بمجرد أن يتم هذا البيع يصبح الثمن ضمن الأرصدة المتجمدة وبذلك لا يمكن حتى سداد أثمان مشترياتنا من إنجلترا ذاتها .

والمعنى الواضح هو أن الغطاء لا يقوم بالوظيفة المطلوبة منه وبذلك لا يكون غطاءً بل وهماً وهذه مسألة يجب أن تولى غاية الاهتمام وان يوضع لها العلاج السريع حتى لا تتعرض اقتصاديات البلاد للاخطار . والعلاج لن يتيسر إلا بتكوين غطاء من عملات محترمة في المعاملات الدولية ويسمح للجنه المصري ان يكون مستقلاً عن الاسترليني .

هذه هي الدعامة التي يجب ان تقوم عليها سياستنا المالية ولا يمكن انتظار أي استقرار

اعلمتنا ما لم نشرع في الحال في تكوين هذا الغطاء مهما استوجب منا من توضيحات ومهما نطلب من جهود

والطريقة الاولى وهي الطريقة التقليدية المثلثي هي العمل على زيادة الصادرات وانقاص الواردات على ان يكون ذلك طبعاً بقصد الحصول على أكبر قدر ممكن من العملات الصعبة ولكنني أود ان أوجه النظر لدقة هذا الموضوع من حيث تأثيره على الأسعار فان من نتائج تقييد الواردات ارتفاع الأسعار في الداخل مما يترتب عليه زيادة حالة التضخم الموجود والذي نشكو منه الآن ويزيد في المتاعب التي يمانها ذوو الدخل الثابت

لذلك يجب ان يصاحب هذه السياسة العمل على تخفيض الأسعار أو على الأقل تثبيتها وإذا أريد التكلم في سبيل ذلك فالجمال هنا أضيق من ان يتسع للاحاطة بكل شيء وإنما لا يسعنا إلا أن نشير اليها واثقين من ان ذلك لن يفوت رجال ماليتنا.

ولما كان تكوين غطاء كافٍ بهذه الوسيلة وحدها سيتطلب سنوات عديدة حيث ان حرمان البلاد مدة الحرب من كثير من الواردات في حين كثرت النقود المتداولة مما يتطلب بضائع لامتناسها ، نقول ان هذه العوامل تحد كثيراً من قدرتنا على إيجاد فائض محسوس بين صادراتنا ووارداتنا .

لهذا أعرض اقتراحاً أرجو أن يساعد على الاسراع بتكوين الغطاء المطلوب .

فيل إن الحكومة المصرية تقدمت الى الحكومة الأميركية بطلب قرض مقداره ثمانية وعشرين مليوناً من الدولارات لاستعماله كغطاء لنقدنا وان الحكومة الأميركية اعتذرت من عدم اجابة الطلب بحجة انه لم تجر العادة بالاقتراض لمثل هذا الغرض .

إننا نقوم الآن بشراء الآلات والمعدات اللازمة لكثير من المشروعات الانشائية كشروع خزان اسوان، ومشروع مصنع السماد، ومصانع للحريز الصناعي والغزل ، كما سنحتاج أيضاً لمهمات كثيرة لمشروعات التعدين التي تبدي الحكومة نحوها اهتماماً كبيراً — ونحن ندفع ثمن هذه المواد من مواردنا العادية مقابل صادراتنا ، وهذه المشروعات تستغرق من الأموال التي نحصل عليها من العملة الصعبة جزءاً هاماً . فلماذا لا يطلب عقد قرض بمبلغ يكفي لتمويل كل المشروعات الحيوية للبلاد وبذلك نخفف من الناحية الأخرى العبء على وارداتنا بما يمكننا من ان نكون رصيداً يصلح على مدى سنوات قليلة غطاءً قوياً لنقدنا .

لا أظن ان عقد هذا القرض متعذر فسواء أكان ذلك من بنك التعمير الدولي أم من بنك الاصدار الأميركي، أم حتى من الشركات الخاصة فان نوع المشروعات التي ذكرت مما تمنح عدة تلك المؤسسات قروضاً من آن لآخر . وهذه المشروعات بما لها من صفة انتاجية متساعد

على زيادة صادراتنا من جهة وتقلل من حاجتنا للاستيراد من الجهة الأخرى وبذلك تزيد في ثروة البلاد .

تهتم الحكومة بإعلانها أنها تفضل إصدار المواد المرخص بإصدارها نظير عملة صعبة، ونحن نوجه النظر الى أنه لا يجوز أن يكون ذلك عند تساوي الثمن فقط بل يجب أن نأخذ في الحسبان أن قيمة العملة الصعبة في الأسواق الحرة تزيد بين الثلاثين والأربعين في المئة على الاسترليني .

فلو فرضنا أن فرنسا تعرض علينا في طن السكر ١٠٠ جنيه استرليني في حين نطلبه سويسرا بسبعين جنيتها، فيجب أن نعطي الأفضلية لسويسرا لأن السبعين جنيتها من الفرنكات السويسرية تساوي في الواقع أكثر من المئة الجنيه من الفرنكات الفرنسية .

وتعلمون حضراتكم أن سعر الصرف المعين بين سويسرا وإنجلترا للجنيه الاسترليني هو ١٧ فرنكاً سويسرياً وذلك عن مبلغ معين متفق على صرفه بهذا السعر . أما السعر الحقيقي في الأسواق فهو يزيد قليلاً على العشرة الفرنكات السويسرية وقس على ذلك الدولار .

فتنص من مصلحتنا أن نعمل على إصدار كل ما يمكن إصداره الى مناطق العملات الصعبة، وعلينا أن نطلب صداداً آمناً صادراتنا الى غيرها من البلاد بهذه العملات ولو اقتضى الأمر حتى منحه إغانة إصدار نظير الحصول على عملات صعبة .

إن الحكومة تملك مقداراً لا بأس به من القطن ويمكن عند عرضه للبيع أن تتمسك بأن يكون ثمنه بالكامل أو نصف الثمن على الأقل مدفوعاً بالدولارات او الفرنكات السويسرية، ولا مانع في هذه الحالة من أن يكون الثمن الذي يباع به القطن أقل من الثمن الذي يباع به في بورصة الاسكندرية ما دام النقص في حدود الفرق بين السعر الحقيقي للاسترليني والدولار في السوق الحرة .

وهناك مزية كبيرة لا يجوز اغفالها اذا عملنا على الحصول على أكبر قدر من الدولارات ثمناً لصادراتنا وهي أنه في الوقت الذي يمكن فيه تسليم البضائع الأميركية في الحال أو بعد مهلة معقولة فإن المصانع الانجليزية لا تبدي استعداداً لتوريد معظم الحاجات الضرورية قبل مضي سنتين أو ثلاث، وكثيراً ما يحدث عند انتهاء الأجل أن يجد ثانية مع التماس مختلف الأعذار .

والحقيقة أن إنجلترا تؤثر توجيه صادراتها الى مناطق العملة الصعبة وتعمل على تقليل ما تصدره للبلاد التي لا تدفع إلا جنيهات استرلينية أو خصماً من ديونها عليها . هذه هي بعض السبل للحصول على غطاء قوي لنقدنا يقبل في المعاملات الدولية ويجعل

عملتنا شأنًا في الأسواق العالمية ولا يمكن أن نأمل في تحقيق استقلال مالي بدون أن تقدم أولاً وقبل كل شيء على هذه الخطوة، أما أن نقول أن الخروج من منطقة الاسترليني معناه الاستقلال المالي.. أو حتى أنه يخطو بنا خطوات في هذا السبيل فهو ما سأتناوله هنا ببعض التفصيل — وفي الواقع قد تساءلت أنا وغيري عما إذا كان قرار الخروج من منطقة الاسترليني بدون اتخاذ الخطوات الأخرى التي أسلفت ذكرها وبدون الاعتماد الكامل في جميع النواحي — هل القرار بهذا الشكل يخطو بنا فعلاً إلى هدفنا وهو الاستقلال المالي. استمعت هنا واستمع الكثيرون إلى المحاضرة التي تفضل بالقائها في هذا النادي من أسبوع سعادة محمود الدرويش بك. وكنا نتوق أن نخرج منها بإجابة على هذا السؤال — وقد حاولت جهدي أن أستشف المزيا التي حصلنا عليها من هذا الاجراء وأخشى ألا أكون قد وصلت لاية نتيجة.

وأول ما تبادر إلى ذهني هو التساؤل عما إذا كان وجودنا ضمن منطقة الاسترليني يتعارض مع استقلالنا المالي المنشود. فنحن نرى من بين البلاد التي ذكر سعادة الدرويش بك أنها منتمية لكتلة الاسترليني بلاداً مستقلة تماماً سواء في أمورها السياسية أو في أمورها المالية. ومثال ذلك بورتغال ودانمرك وغيرها.

والواقع أن انشاء هذه الكتلة كان مبنياً على وجود مصالح تجارية خاصة تربط البلدان المنشقة اليها بعضها ببعض أو بواسطة العقد وهي بريطانيا. فهناك مصلحة لكل بلد على حدة في هذا الانضمام. ولم يقل أحد أن استقلال الدنمرك أو البرتغال كان مشوباً بأية شائبة لأنها منتمية لكتلة الاسترليني. كنا نود أن نعرف الفوائد التي طادت على مصر من هذا القرار وفي هذا الوقت بالذات. وقبل أن يبحث موضوع عملتنا بأكمله من حيث الغطاء وقيمتها في المبادلات الدولية وما زلنا نبحث عن يهديننا إلى تلك الفوائد التي عجزنا عن تبينها. من الأسباب التي ذكرت أن ترك منطقة الاسترليني كان ضرورياً لإنشاء مراقبة على القد وعلى الواردات والصادرات. فهل لم يكن من المستطاع انشاء هذه المراقبة ونحن ضمن كتلة الاسترليني.

لقد تلقينا الجواب على ذلك فيما أورده سعادة الدرويش بك في صدد محاضراته هنا في الأسبوع الماضي عندما ذكر أن نيوزيلندا وهي من أقدم الدول المنتمية لكتلة الاسترليني والتي لا شك أن الروابط التي تربطها ببريطانيا أقوى بكثير من الروابط التي تربطنا معها. يقول سعادته أن نيوزيلندا كانت تبأشر هذه المراقبة من سنة ١٩٣١ أي حتى قبل قيام الحرب الأخيرة ونشوء الضروريات الملحة لقرضها في سائر الدول تقريباً.

وكانت ديمرك واستونيا ولتوانيا تفرض مثل هذه الرقابة . ومعنى هذا الكلام الواضح أن البقاء في كتلة الاسترليني لم يكن ليمنع إطلاقاً مباشرة هذه الرقابة .

والعراق وهو ما زال منتصباً الى هذه الكتلة أنشأ هذه الرقابة وهو يمارسها الآن ، بل لو كانت مصر قد بقيت لما كان هناك مناص من فرض هذه الرقابة فالمعلوم أن هناك مبالغ لا يمكننا تجاوزها في مشترياتنا خصماً من الأرصدة الاسترلينية ، فكان من الحتم إيجاد الأداة التي تمكن من حصر العمليات وضبطها .

بقي اننا نحن الذين لم نعرف الأسباب الداعية الى هذا القرار قد رأينا أشياء توجي لنا — حسبما يصل اليه فهمنا — بأنه لا يتفق تماماً مع ما يسعى اليه رجال الحكومة من تحقيق استقلالنا المالي ، بل نخشى أن يكون قد عاد علينا ببعض الضرر .

ان في منطقة الاسترليني ارتباطاً يتيح لسكل دولة داخلية في نطاقه أن تحصل على حاجاتها الضرورية سواء أكانت من منطقة الاسترليني أم العملة الصعبة . وفي الوقت الذي كانت فيه موارد مصر من العملة الصعبة نظير صادراتها الظاهرة والخفية لا تتجاوز العشرة ملايين من الجنيهات كانت مصر تحصل على حاجتها من الأسمدة ومواد الوقود والحبوب من منطقة الدولارات مما يزيد على الضعف أي حوالي ١٤ مليوناً من الجنيهات .

وكانت حصّة مصر طبقاً لاتفاقية العملة الصعبة في سنة ١٩٤٥ تبلغ ١٢ مليوناً من الجنيهات من العملة الصعبة فضلاً عن الوقود والسماد والحبوب — وكانت الاتفاقية تنص على تخصيص ٣ ملايين جنيهه لنفقات البعثات الدبلوماسية المصرية واعفاء المؤتمرات والمسافرين وغير ذلك من المصروفات غير المنظورة — أما التسعة الملايين الباقية فخصصت لاستيراد مواد معينة بالذات أدرجت بها كشوف ، على ان تستوفي مصر باقي حاجاتها من منطقة الاسترليني وكان من شروط الاتفاقية انه في حالة عدم امكان الحصول على بعض المواد المفروض توفرها في منطقة الاسترليني ان يتمكن انجلترا مصر من استيرادها من مناطق العملات الصعبة وان تزداد حصّة مصر من تلك العملات تبعاً لذلك .

أما الآن فيخشى أن تواجه مصر ضيقاً شديداً ازاء مطالبة مصدرى البترول بضرورة تقاضى اثمان بضائعهم بالدولارات ويبلغ ثمن البترول اللازم لمصر حوالي ٦ ملايين من الجنيهات . ذلك في حين أننا لو بقينا داخل الكتلة كنا نستطيع صداد هذا المبلغ بالجنيهات الاسترلينية طبقاً للنظام وهو النظام الذي وضع أثناء الحرب والذي بمقتضاه تتمكن كل دولة داخل منطقة الاسترليني من صداد اثمان وارداتها من البترول بالجنيه الاسترليني سواء أكل

ذلك البترول وارداً من منطقة الدولار أم من منطقة الاسترليني . ونحن مطالبون كذلك بسداد أثمان ما يلزمنا من الحبوب بالدولارات أما السماد فانه طبقاً لاتفاق مع شركة شبلي وضع وقت وجودنا بكتلة الاسترليني يمكن سداد الثمن حتى يونيه القادم بالجنيهات الاسترلينية . ولكن المستقبل غير معلوم . أيدھش الانسان بعد ذلك اذا ما كان الانجليز قد وافقوا ان لم يكن قد رحبوا بخروج مصر من كتلة الاسترليني حتى يزول عن كاهلهم هذا العبء الذي لا يسرهم بطبيعة الحال جملة في الوقت الحاضر .

للانسان ان يتساءل ما الحكمة في ان انجلترا كانت تحتمل عنا هذا العبء الثقيل علينا الواقع ان ذلك ما كان مطلقاً تفانياً في حبنا وانما كان في أثناء الحرب ارضاء لشعب بهمهم المحافظة على مرضاته . كانت انجلترا اذ ذاك في أشد الحاجة الى السلع والخدمات من مصر وكان الحصول عليها هو السبب الرئيسي في تجمع الارصدة الاسترلينية في لندن . ففي تلك الحالة كان بهم الانجليز ان يعم مصر شيء من الرضاء وان كان وهمياً إذ ان انجلترا أخذت باليسار أضعاف ما أعطته باليمن .

اما بعد الحرب فانها ما كانت تستطيع ان تعاملنا وحدنا دون سائر الدول المنتهية لكتلة الاسترليني معاملة شاذة تظهرها أمام العالم بمظهر الظالم المتحدي وهو الشيء الذي نحرص انجلترا كلما أمكنها ذلك على تغطيته . كما ان أميركا وهي المصدر الاول للدولارات وقد نصبت نفسها حكماً بين دول العالم ما كانت لتوافق على استثناء مصر وحدها من اتفاق معقود مع جماعة من الدول .

اما الآن وقد تركت مصر هذه الكتلة بمحض اختيارها فقد أراحت انجلترا مر واجب بغيبض اليها . كما ان قرار الخروج من كتلة الاسترليني تم في وقت لم تكن الاداة المكلفة بتنفيذ القانون قد أنشئت . وان مراقبة الصادرات والواردات زادت مهمتها اضعافاً مضاعفة فبعد ان كان عملها مقتصرأ على منطقة العملات الصعبة أصبح يشمل جميع صادرات مصر ووارداتها . والواقع ان قانون الرقابة على النقد صدر عشية اليوم المعين لتنفيذه وترتب على ذلك ان العمليات والاستمارات اللازمة لم تكن قد وضعت ، ففضت أيام كثيرة لم تتمكن فيها البنوك من فتح اعتمادات مما مسموح للمضاربين بأن ينشطوا في نشر الاشاعات عن عدم امكان استيراد بضائع . وقد أدى ذلك الى ارتباك في الاسواق وارتفاع في أسعار المواد المستوردة والمصنوعة محلياً على السواء .

هذه بعض النتائج التي لمسناها كأثر لقرار خروج مصر من كتلة الاسترليني في هذا الوقت في

حين لم نستطع أن نأخذ فائدة واحدة وما زلنا نتطلع لمن يشرح لنا تلك المزايا التي غاب عنا ادراكها ويهمني أن أسأل أخيراً هل حقيقة أننا خرجنا عن كتلة الاسترليني ، تنص المادة السادسة من الاتفاق الأخير بين مصر وبريطانيا على أن الحكومة المصرية تعهد بأنها لن تقيد قبول دفع قيمة جميع المعاملات الجارية بالجنيه الاسترليني - ومعنى هذا أنه لا يحق عند ما يعرض شخص ما في الخارج سوائه كان في منطقة الاسترليني أو غيرها أن يدفع ثمن الصادرات بالجنهيات الاسترلينية لا يحق للحكومة المصرية أن تعترض . فأين هو الخروج المزعوم من الكتلة .

أما وقد مهدت أنجلترا لنا السبيل بخرقها الاتفاق من جانبها فأصبحنا في حل من هذا النص : فليس يفيدنا كثيراً إطالة البحث فيه وعلينا أن نتجه للعمل المنتج . إن الموضوع من الخطورة بمكان وليست عواقبه مقصورة على فرد أو أفراد ولا على طبقة حاكمة أو حكومة إنما هو أمر يمس مصالح جميع أفراد الشعب ويتعلق به مستقبل مصر بأجمعها من الناحية المالية .

لذا فانا نرجو أن يكون أول ما نتجه إليه الآراء الآن هو حشد جميع المشتغلين بالمسائل المالية من رعميين وغير رعميين وأن نعرض عليهم جميع هذه المشكلات ليضعوا لها دستوراً يكون هو السياسة القومية التي تسير عليها البلاد بدون نظرتغيير الحكومات أو الأشخاص القائم على توجيه السياسة المالية ، وبذلك نأمن العنار وتكون خطواتنا بعيدة عن مواطن الزلل . إمتحوا لي وقد تناولت عدة موضوعات متشابهة أن أخلص في بضع كلمات ما رمت إليه هذه المحاضرة .

أولاً - إن الخروج من منطقة الاسترليني بذاته لم يقدّمنا شيئاً في سبيل تحقيق الاستقلال المالي .

ثانياً - إن دعائتي الاستقلال المالي هما الغطاء القوي القابل للتحويل والبنك المركزي القادر على توجيه سياسة الائتمان لمصلحة البلاد .

ثالثاً - إن السبيل لتكوين الغطاء هو أن نزيد صادراتنا لمنطقة الدولار وان نقل من وارداتنا مع العمل في الوقت نفسه على تخفيض الاسعار في الداخل .

رابعاً - عقد قرض لتمويل المشروعات العمرانية حتى يساعدنا ما نصرّفه عليها الآن في تكوين الغطاء .

خامساً - تكليف هيئة من الرجال المشتغلين بالمسائل المالية درس مركز مصر المالي ووضع سياسة طويلة الأمد تكون دستوراً لنا في الشؤون المالية .

صابون الحرب

أصلح وسيلة لخفض أسعار الصابون العادي

ذكرت في سياق مقال على « المخترعات الحربية في الحياة المدنية » ^(١) ان الصابون الحربي صالح لكل الأغراض والأجواء ، حاراً كان الماء أو بارداً أو أجاباً أو فرائاً ، فيصلح لغسل الأيدي والوجوه والاستحمام والحلاقة وغسل الملابس وأجزاء الأجهزة .

ولما كانت العائلات جميعها ، غنيهاً ومتوسطها وفقيرها ، أصبحت تفكر في ارتفاع أسعار الصابون العادي رأيت التوسع في وصف الصابون الحربي ، لتصير على بينة من أمرنا ، عندما ينشر بين ظهرانيها في القريب العاجل ، فيحدث بلا شك تنافساً شديداً في الأسواق المحلية فينبغي إذن بحث الأمر من وجوه جميعها فيما يلي : —

جاء في كتاب الصناعات والصناع ، الذي ترجمته عن الانكليزية وأصدرته في سنة ١٩٢٦ في فصل بعنوان الصابون : —

ابتدع قدماء الإغريق والرومان ، الصابون واستعملوه في زمانهم ، كما إن كثيرين من الأقوام الذين نعتبرهم متوحشين ، لديهم عدة مواد ، تقوم لهم مقام الصابون عندنا . قلت ولعل المؤلف يقصد بذلك شجرة الصابون ، وهذه تزرع في المنطقة الحارة ، وقد سميت بهذا الاسم لأن أوراقها ترغي رغوة كالصابون ، تنظف المواد الدهنية ، وقد تستعمل هذه الأوراق بدل الصابون وذلك في أمريكا الجنوبية .

ومن الأشجار الصابونية ، شجرة عرق الخلاوة واسمها العلمي Saponaria Officinalis وهي بالانكليزية Soap-wort وكذلك شجرة كستنا الخيل أو الشاه بلوط لأن في ثمرها خاصية الصابون فتستعمل بدلاً منه في بلاد أرياف أوروبا .

ومضى المؤلف الانكليزي فقال « ونحن معشر الانكليز ، نفتخر بكوننا أكثر البرية

نظافة ، على وجه البسيطة ، غير أن في هذا الزعم بعض المغالاة ، لأننا نعرف شعوباً كثيرة تعدُّ حقيقةً في أممي درجات النظافة وبالأخص أهالي شبه جزيرة ملايا ، أولئك الذين يقطنون غالباً بصفات الأنهر ، حيث يستحمون مرتين كل يوم . وربما أكثر من ذلك . ولا يخفى أن الماء أعظم ما يفتقر إليه طالب الاغتسال ، وإذا ما أضيف إليه ، الصابون ، كان له خير معوان على إزالة الأدران .

والصابون كما جاء في معجم المنجد « مركب من الزيت والقلوي ، يغسل به . والكلمة فارسية عربيها الفاصول . والصابونية « عرق الحلاوة » نبات يؤخذ منه نوع من الفصول ، يغسل به . »

وجاء في نبذة بقلبي نشرت بمجلة المفتح في جزئها المؤرخ في ١٥ سبتمبر سنة ١٩٠٩ ما يأتي : —

تنمو بعضها بجانب بعض في إقليم فلوريدا بالولايات المتحدة الأمريكية ، أشجار تسمى أشجار الصابون والشحم « فأشجار الصابون وحدها تنتج محصولاً يصنع منه أنقى أنواع الصابون الممكن صنعه في العالم .

وفي الحقيقة أن جنوبها صابون طبيعي ذو رغوة تشبهها في الصابون الصناعي . ولعظم منافع أشجار الصابون ، قد انتشرت انتشاراً كبيراً في كثير من أرجاء العالم حتى أنه يمكن الحصول عليها من بلاد الجزائر وبلاد الصين . وأما محصول أشجار الشحم فيدخل أيضاً في صنع الصابون فيتكوّن منهما معاً صابون جيد . ويستخرج من أشجار الصابون « غير الصابون » زيت لذيذ الطعم جداً . ويقال إنه متى عرفت منافع أشجار الشحم معرفة تامة استخرج منها أيضاً زيت لذيذ ينتج أرباحاً كثيرة .

وفلت في سياق مقال على (الباباز ثمر عجيب) (١)

ويجمل ثمر الباباز البغو « غير التام النضج » وورقه الأخضر كصابون لتنظيف الثياب ويستعمل أهل پارجواي ورق الباباز بديلاً من الصابون .

ويقال إن الصابون الثماني اسمه من مدينة سائونة القريبة من جنوه من أعمال إيطاليا .

وذلك أن زوجة صياد مملوك من أهل تلك المدينة ، كانت قد سخّنت ماء الصودا في وفاة كان مشبعاً بزيت الزيتون ، فتكشف لها ذلك المركب مصادفة . ويعتقد فوج من العلماء أن الصابون كان مجهولاً عند الشعوب القديمة . ولكن ثمة مستند كتابي ، ينفي هذا الاعتقاد كما تقدم القول ، في صدر هذا المقال .

وفي العصور القديمة كانت الناس تدهن أجسامها بزيت الزيتون ، وتستعمل عصارات النباتات المختلفة ورمادها مقرونة بالطين الاصواني ، في أغراض التنظيف .

وذكر بليني المؤرخ الروماني في القرن الأول بعد الميلاد ، صنفين من الصابون هما الصلب والرخو . وقال إنهما من مخترعات الغالين « التي تكسب الشعر لوناً لامعاً » ، وأثبت أن الصابون يصنع من الشحم والرماد . وإن أجود أصنافه ما يركب من رماد خشب الزان وشحم المعيز ، وقد عثر المنقبون في خرائب مدينة بومبيئي الأثرية على مصبغات ، فاستدلوا من ذلك على أن تركيب الصابون كان معروفاً بلا جدال عند قدماء الرومان .

فلت « وتنظيف الأيدي من الأوساخ بالفرين ، عادة ما زالت مألوفاً في حقولنا المصرية عند الفلاحين » .

وجاء في إحدى الصحف المحلية في صدد مخترعات الحرب العالمية الثانية ومن ضمنها صابون الحرب ما يأتي :

كشف علماء الحلفاء ، النقاب عن كثير من الأسرار الحربية الألمانية ، مما سيوفر على الحلفاء ملايين الجنيهات الاسترلينية التي تنفق في سبيل البحوث العلمية . ويدل ما كشف على أن اختراع الألمان كان يسبق مقدرتها على تحويل النظريات إلى مصنوعات وقد استفاد الحلفاء من بعض هذه الاختراعات كثيراً واستخدمت في حرب الباصفيكي . وظهر أن الألمان تقدموا كثيراً في بحث مسألة القنبلة الذرية وفي إنتاج « الماء الثقيل » ولكنهم كانوا يفكرون في قذيفة يسيرها طيار واحد تستطيع أن تقطع ثلاثة آلاف ميل . ولكن واضع تصميم هذه القذيفة كان يتوخى استخدامها في شؤون التجسار كذلك لنقل الركاب عبر الاطلنطي في ١٧ دقيقة .

وكان الألمان يعملون بطريقة جديدة لإنتاج أنواع جديدة من غازات الحرب . وكانوا

يرجون أن تكون أشد فتكاً من أية مادة كيميائية ظهرت حتى الآن .

وكانت لديهم مشروعات مفصلة بشأن السفن الحربية من طراز ممتاز حديث ، منها غواصات ذات سرعة أكبر منها في الغواصات الحالية تحت الماء ، ومقذرة أكبر على تحمل الأعمال الحربية تحت سطح الماء . وكشف الألمان طرقاً جديدة لاستخراج كثير من المواد الصناعية مثل استخراج الكحول والزبدة الصناعية ووقود الطائرات والصابون والبنزين من الفحم ^(١) كما كانت لديهم تصميمات لأنواع سرية مختلفة من المدافع وآلاتها . واغترك البريطانيون والأميريكيون في كشف هذه الأسرار . ولا تقتصر التقارير التي وضعوها على تكييف السياسة التي ستتخذ لمراقبة ألمانيا بل ستؤثر في التحول الصناعي والعلمي كذلك . ووصفت إحدى المجلات العلمية الأميركية التي وردت علينا حديثاً ، صابون الحرب فقالت : —

الصابون عامل كيميائي من أقدم العوامل التي تعاون على الترف . وقد أصبح الآن يلاقي منافسة عنيفة من المواد الكيميائية المنظفة التي اخترعت حديثاً ، وهي الصالحة للغسل على أحسن ما يرام ، عسراً كان الماء أو يسراً أو ملحاً بارداً .

وكان الغرض من اختراعها في بدء الأمر ، مواجهة مشاكل صناعية معينة ، هي التي لم يقو الصابون على تلافيها . فانتشر إنتاجها واستعملها في هذه الآونة انتشاراً كبيراً أفضى إلى خفض أسعارها خفضاً كان من شأنه إقبال ربوات البيوت على استعمالها في أغراض التنظيف كافة ، تنظيفاً يتعذر على الصابون أدائه على أحسن وجه .

وتصلح هذه المنظفات الصناعية الكيميائية للغسل دون أحداث تحجب بغض يستقر على الثياب أو في أوعية الغسل . وهذا عدا تأثيرها تأثيراً صالحاً في الملابس الصوفية . ثم إن استعمالها في البيوت يؤول إلى التخلص رباتها من (الحلقات) التي تتخلف عن الصابون العادي . وذلك في مراكن الغسل « الطشوت » وفي بالوعات الحمامات والمطابخ ، كما يسهل تنظيف الأطباق وذلك لأنها ذات خواص فائقة لازالة الأدهان . وهذا عدا كون المواد

(١) راجع مقتطف مايو سنة ١٩٤٣ وغيره من الأجزاء

المنظفة تصنع على أنواع مختلفة ، فتكون إما سائلة وإما عجينية القوام كعجينة تنظيف الأسنان ، وأما مركبة تركيباً صالحاً لتنظيف أواني اللبز ومنتجاته ، كما تنظف المعادن بما يعلق بها من الأدران .

ومما ينبغي ذكره في هذا المقام ، أن ألمانيا كانت أول دولة ، اخترعت المواد الكيميائية المنظفة . وذلك عقب وقوف رحي الحرب العالمية الأولى « وهذا يطابق ما تقدم إirاده » . ثم عمَّ استعمالها صناعياً ولاسيما في ميادين المنسوجات في بلاد الولايات المتحدة الأمريكية وذلك منذ سنة ١٩٣٠ .

أما قبل الحرب العالمية الثانية فكان المخترع منها أصناف قليلة فاستنفدت في خلال تلك الحرب لشدة الإقبال عليها من جانبي الأسطولين الحربي والتجاري الأمريكيين . وكان مستعملوها حينئذ يسمونها « صابون ماء البحر » إذ كانوا يتخذونها وسيلة للتنظيف في وحدات المقاسل المتنقلة ، التي كانت كثيراً ما تحل في مراكز المياه العسرة والأراضي الوعرة ، ولغيرها من أشتات الأغراض الصناعية .

وأحدث أصناف المنظفات الصناعية الكيميائية يؤلف من أنواع شتى من المواد الكيميائية وتسمى (صناعية) لأنها اخترعت نتيجة لمباحث كيميائية عصرية . على حين أن صناعة الصابون قديمة العهد . والصابون نفسه تركيب صناعي كيميائي ينتج من تفاعل الصودا الكاوية مع الشحم .

وهذه المواد المنظفة تستطيع أيضاً تفكيك الشحم ، الذي يتعذر مزجه بالماء بأية وسيلة أخرى ، فيتحول الشحم إلى دقائق صغيرة يمكن تعليقها في الماء ثم جرفها كامةً معه على حين أن الصابون العادي يتعقد جسيمات لا تذوب مع الكاسبوم وذلك في المياه العسرة ، كما إنه يُسَلَف بالمحاليل الحمضية التي قد تحتاج إليها المغسلات والتي تتطلبها أيضاً عمليات الغسل الصناعية . أما المواد الكيميائية المنظفة فكثير منها ، على عكس الصابون ، ذات تأثير نافع في المياه العسرة ، فيتيسر استعمالها في المحاليل التي ليست حامضة أو قلوية .

ويتاح صنع هذه المواد المنظفة أسوةً بالصابون ، إما جسيمات ، وإما رقائقاً ، وإما سوائل ، كما يتسنى جعل بعضها قوالب للتنظيف والتبرج عامة .

عوضه بنرى

باب الأسئلة والمناسبات

النظائر والطاقة الذرية

كتب صديقي الأستاذ جريس الشرايحة مقالة في « المقتطف » عدد مارس ١٩٤٧ - بعنوان « النظائر وكيمياء النواة ». والتقيت بالأستاذ غير مرة قبل أن يكتب المقالة وبعد أن كتبها ، وتباحثنا في الموضوع ، ولكن كنا نفترق دون اتمام البحث . وخلاصة رأي الأستاذ ما يلي : ما دامت جميع نظائر العنصر تتفق في العدد الذري والطيف والصفات الكيميائية والاشعاع ، فلماذا نرى اختلافاً في نتائج نظائر البورانيوم ، أي ان القنبلة الذرية تصنع من النظير (٢٣٥) لا من النظيرين (٢٣٨) و (٢٣٤) . ويعزز الأستاذ قوله بالمنال الآتي : وهو يمكن أن نحصل على ماء اذا مزجنا ذرتين من الهيدروجين رقم (١) ومن نظيره الديتوريوم أو التريتيوريوم مع ذرة اكسجين . ثم يسأل الأستاذ اذا كان هنالك نوعان من الكيمياء ، كيمياء تخص مركبات الذرة الخارجية ، وكيمياء تخص مركبات الذرة الداخلية .

هذا يجعل قول الأستاذ والأسئلة التي أوردها ، ومن أراد زيادة فليراجع مقالة . لا أريد أن أدخل في تاريخ كشف النظائر ولكن هنالك أمس أخرى علي أن أبينها قبل الشروع في ايضاح المسألة التي نحن بصدددها .

والحقيقة ان الوزن الذري لأي عنصر مّا أكبر من العدد الذري . ذلك لأن النواة لا تتركب من بروتونات وألكترونات فحسب - كما كان الرأي سائداً قبل عام ١٩٣٢ - بل هنالك جسيمات أخرى تتركب منها النواة غير ما ذكرنا . ومن هذه الجسيمات النيوترون (المحايد) ، وهذه الجسيمة لها وزن يقارب البروتون ولكنها خالية من كل شحنة كهربائية . هذا ما أردت أن أبينه قبل الشروع في الاجابة على أسئلة الأستاذ .

ان سؤاله فيما إذا كان هنالك كيمياء تتعلق بالذرة وأخرى تتعلق بالنواة أقول : إنه سؤال وجيه لمن أغلقت أمامه معضلات العلم . لقد أصبح معلوماً ان الكيمياء تخص مركبات

الذرة الخارجية أي ما يتعلق بالصفات الخارجية للذرة ، أما النواة ومركباتها فهذه من اختصاص علم الطبيعة . لأن نواة الذرة تتركب من جسيمات هي في غاية الدقة وهي التي تعين صفة العنصر . فهذه الجسيمات يسري عليها قانون يشبه قانون الجاذبية وقواعد تشبه قواعد الكهرباء . أقول تشبهها لأن القوانين المتعلقة بهذه البحوث لها رموز وأعداد وحلول تخص نوعاً من الحساب حولها فقط لأن قانون الكتلة الكبيرة والتيارات الكهربائية الكثيفة لا يسري عليها . إذاً فكل البحوث التي تخص مركبات الذرة الداخلية هي من خصائص علم الطبيعة ، أما أهمية الكيمياء ، وخصوصاً الكيمياء الطبيعية لا تنكر في أبحاث النشاط الاشعاعي وتجارب تغيير العناصر وميزاتها .

فوجه الشبه الذي قدمه الأستاذ بين مزج ذرتين من الهيدروجين أو أحد نظائره مع ذرة أكسجين للحصول على ماء ، وبين طاقة نظائر البورانيوم المختلفة هو شبه وجه بعيد جداً . لأن مزج الأول هو من خصائص الكيمياء ويمكن فصلها عند الضرورة . ولكن استخراج الطاقة الكامنة من الذرة هي خصائص الطبيعة . لأن الأول هو مزج ذرة بأخرى . أما الثاني فهو شرطها

واقعد أصبح من الجلي ان الذرة لا تتركب من ألكترونات وبروتونات فقط ، وإنما هنالك جسيمات أخرى كالنيوترون التي تزيد في كتلة الذرة لأن هذه الجسيمة تعادل البروتون وزناً ولكنها خالية من كل شحنة كهربائية ، نخلوها من الشحنة الكهربائية جعلها أفضل أداة لشطر الذرة . فلها أهمية كبرى في تغيير العناصر وزيادة النشاط الاشعاعي وهبوطه ، حسب السرعة التي تسير بها . فمثلاً إذا استقر نيوترون واحد في نواة احدى العناصر أحدث من ذلك العنصر نظيراً مستقراً وزاد ترتيبه في الجدول الدوري درجة واحدة ، لأن عدد الالكترونات التي في المحيط هي التي تعين العدد الذري للعنصر كما ان عدد البروتونات التي تحويها نواة الذرة وغيرها من الجسيمات هي التي تعين الوزن الذري للعنصر ، ونحصل على عدد النيوترونات التي تحويها نواة الذرة بواسطة طرح عدد البروتونات من الوزن الذري . لنأخذ مثلاً عنصر البورانيوم الذي عدده الذري ٩٢ والوزن الذري ٢٣٨ للنظير الأول ٩٢ ألكترون في الخارج تقابل ٩٢ بروتون في الداخل

إذن : $238 - 92 = 146$ نيوترون داخل نواة النظير الأول لليورانيوم
أما النظير الثاني وهو $235 - 92 = 143$ « « « « الثاني »
وهكذا . فالنظائر تختلف باختلاف عدد النيوترونات التي تحويها النواة . وأبسط مثال على
ذلك هو الديتوريوم الذي نواته تحتوي على نيوترون واحد وبروتون واحد وهو المعروف
بالميدروجين الثقيل وإن الماء المصنوع منه لا يستحسن شربه ولو أن الأستاذ صوّاه بالماء
المعمول من الهيدروجين ذي الرقم (١)

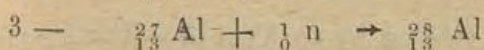
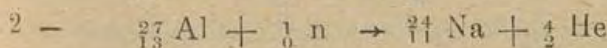
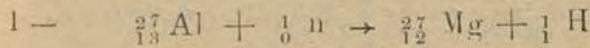
رأينا أن من مركبات الذرة الأساسية النيوترون ، ورأينا بعض أهميته في الأبحاث
الذرية ولكن حتى أجيب على سؤال الأستاذ الرئيس وهو هل نظائر اليورانيوم لها نفس
الطاقة ، أشير إلى أهمية النيوترون حتى يتسنى فهم ما سيأتي .

١ - عندما يدخل النيوترون إلى نواة العنصر يحذف بروتوناً من الذرة . وبما أن
الوزن الذري يتبع عدد البروتونات وهو بدوره يقرر العدد الذري فهكذا عند دخول
النيوترون وخروج البروتون ينزل العنصر مرتبة واحدة في الجدول الدوري بينما كتلته تبقى
كما هي نظراً لتعادل وزن النيوترون مع البروتون المحذوف .

٢ - إن دخول النيوترونات إلى النواة أحياناً يبعث دقائق ألفا ، وهكذا فالعنصر
الحاصل بعد هذا الفعل ينزل عدده الذري وحدتين أقل من العنصر الأصلي ، في الجدول
الدوري وتنزل كتلته ثلاث وحدات وذلك لأن دقائق ألفا هي ذرات هيليوم أي عدده الذري
(٢) ووزنه الذري (٤) أي فيها بروتونين ونيوترون مساوي لكتلة البروتون . إذا أصبحت
الكتلة ثلاث وحدات والعدد وحدتين

٣ - إذا كان دخول النيوترون لم يحدث أي من الأحداث السابقة ، فالنيوترون
يتحد مع النواة وهذا يحدث نظيراً أعلى للعنصر الأصلي .

واليك البيان بمعادلات كيميائية للحالات الثلاث السابقة ، في عنصر الألومنيوم



وربّ سائل يقول كيف الحصول على مثل هذه النتائج والعنصر هو نفسه في الحالات الثلاث ، له نفس عدد الجزيئات والكمية ؟ والجواب هو ، أنه في الحالتين الأوليين يكون النيوترون سريعاً جداً وفي الحالة الثالثة يكون أقل سرعة أي أن سرعتها انتهت في ذلك الموضع فاستقرت هناك . أما إذا كانت سرعة النيوترون أكثر قليلاً فإنه يصطدم في النواة مع البروتون اصطداماً مطاطياً وهذا النوع من الاصطدام يسبب هبوطاً في طاقة النيوترون ولهذا نجد في كثير من الحالات في شطر النواة استعمال الهيدروجين الثقيل ، وذلك لقدرته على الانتشار أكثر من أي عنصر آخر ، كما أن فعل البروتونات مع أشعة بيتا لها نفس فعل النيوترونات أي

نيوترون = بروتون + جسيمات بيتا

ولقد مرّ بنا أن بعض العناصر إذا قذفت بنيوترونات سريعة جداً انطلق منها أشعة ألفا كما أن بعض العناصر المشعة نفسها تطلق هذه الأشعة . وأشعة ألفا تتفاوت طاقتها حسب العنصر . ولقد كانت هذه الأشعة قبلاً البناء الأساسي لدراسة الذرة . ومن هذه الأشعة ودراستها انكشف لنا نوع جديد من البحث وهو درجات (استواءات) الطاقة . ولكن إذا اختلفت مقادير سرعة النيوترونات حصلنا على مقادير أعلى من الطاقة — في بعض الحالات — فمثلاً إذا اتحد نيوترون بنواة أحد العناصر فهذا الاتحاد يحدث طاقة مالية تقدر من $7 - 8 \times 10^6$ إلكترونات فولت . وإذا حصلنا فعلاً على هذه الطاقة فإنها تكون بشكل أشعة جاما .

ولقد دلت التجارب أن النيوترون لا يلتقي صعوبة كبيرة في اختراق نواة اليورانيوم وذلك لتجردها من الشحنة الكهربائية ، ونرى ذلك في نظائر اليورانيوم .

نعلم أن جميع نظائر اليورانيوم لها عدد ذري واحد وهو ٩٢ ، ونعلم أن النظائر تختلف باختلاف عدد النيوترونات التي تحويها النواة . ولتأخذ مثلاً النظير ٢٣٥ ، هذا يحوي ١٤٣ نيوتروناً كما أن النظير ٢٣٨ يحوي ١٤٦ نيوتروناً ، ونرى النظائر تتصرف تصرفاً مختلفاً بعضها عن بعض ولهذا نحتاج إلى قذائف من النيوترونات ذات سرعة فائقة لاستخراج الطاقة الكامنة في النظير ٢٣٨ والذي يحوي ١٤٦ نيوتروناً نظراً لاستقرار نواته ،

بينما تحتاج في حالة النظير ٢٣٥ والذي يحوي ١٤٣ نيوترونات أي مقذوفات من النيوترونات بطيئة . وهكذا اذا صنعت القنبلة الذرية من النظير ٢٣٨ احتجنا الى أن نركب سيكلترون في القنبلة لقذفها بنيوترونات سريعة حتى يتمكن من استخراج الطاقة الكامنة فيها . أما في حالة النظير ٢٣٥ فتحتاج الى نيوترونات بطيئة . وهذا فالقنبلة الذرية تتركب من كربون ويورانيوم ٢٣٥ يفصل بينهما معدن الكادميوم مع مقدار كبير من النيوترونات . وميزة عنصر الكادميوم هو امتصاص النيوترونات البطيئة . وليس عنصر الكادميوم وحده له هذه الميزة ، بل هنالك عناصر أخرى مثل نوروينيوم والسماريوم وخصوصاً الجودالنيوم . وهكذا في هندسة القنبلة الذرية يوضع رفاص ينطلق في وقت معين ويخرج معه أصابع الكادميوم الموجودة في القنبلة . عندئذ يحصل تفاعل النيوترونات مع نوى اليورانيوم ٢٣٥ فتخرج طاقتها . لأنه كلما كانت النيوترونات أبطأ كان امتصاص النواة لها أسهل . ولقد وجد البحث نوى عناصر أخرى تتفاعل مع النيوترونات البطيئة وتعطي طاقتها مثل الثوريوم ، والبلوتونيوم وبعض نظائر النورينيوم ، أما نظير البوريانيوم ٢٣٨ فهو أيضاً يمتص النيوترونات البطيئة ولكنه لا ينشط بل يتكون نظيراً آخر وزنه الذري ٢٣٩ وقد دعي هذا النظير بلوتونيوم وهذا العنصر له نواة مستقرة ولكن اذا قذفت بنيوترونات سريعة جداً فالاشعاع والطاقة حاصلة لا محالة . وهكذا الحال في العناصر ذوات النواة المستقرة فانها اذا قذفت بنيوترونات سريعة فانها تعطي طاقتها . ومن هنا بدأ التفكير باستغلال الطاقة الذرية في الصناعة .

والآن أجل القول :

- ١ — تختلف النظائر باختلاف عدد النيوترونات التي في نواتها
- ٢ — لا يوجد كيمياء ذرة وكيمياء نواة فالكيمياء تخص الحقل الخارجي للذرة بينما الطبيعية تخص مركبات النواة
- ٣ — ان استخراج الطاقة الكامنة في نظائر البوريانيوم ممكنة على شرط ان تستعمل قذائف من النيوترونات بسرعات متفاوتة حسب استقرار نواة العنصر أو النظير فشلاً تحتاج الى نيوترونات ذات سرعة فائقة للحصول على الطاقة الكامنة في النظير ٢٣٨ بينما تحتاج الى نيوترونات بطيئة في حالة النظير ٢٣٥ نظراً لعدم استقرار نواته . فاذا دخل النيوترون الى النواة شطرها وخرجت طاقتها .

تعليقات ألبينة - رد على توضيح

قرأت في المقتطف وفي عدد يوليو ١٩٤٧ توضيحاً لشاعر الوادي - محمد الصاوي عمار - حول نقدي للقصيدة (برلمان الطبيعة، وتلوس في الظلام) وكان الشاعر في توضيحه يؤكد على درج همزة الوصل بعد (ال التعريف) مستشهداً بقوله تعالى « بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان » وقبل أن رد على قوله ينبغي أن نقول كلمة موجزة عن القرآن الكريم .

القرآن كتاب عربي مبين « لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من عزيز حكيم » نزل تأييداً لدعوة الرسول (ص) ودستوراً لأمة . ولقد منح الرسول في بدء الإسلام أن يقرأه العرب على لحنهم بما فيها من فتح وإمالة ومدّ وقصر تفسيراً للقراءة وتسهيلاً للناس . وبعد اتساع الفتوح وانتشار العرب اضطربت السلاط وقشأت قراءات غير صحيحة فتجرد قوم لضبط قراءته فنشأت القراءات السبع المعول عليها للقراء السبعة وهم « أبو عمرو بن العلاء، وعبد الله بن كثير ، ونافع بن نعيم ، وعبد الله بن طاهر ، وعاصم ابن بهدلة الأسدي، وحمزة بن حبيب الزيات ، وعلي بن حمزة الكسائي » وتلي قراءات هؤلاء ثلاث قراءات صحيحة متواترة وهي قراءة أبي جعفر المدني ، وقراءة يعقوب بن اسحاق الحضرمي، وقراءة خلف بن هشام . ومع هذا وعند ما فشا اللحن وخيف على القرآن . ضبط أبو الأسود الدؤلي أواخر الكلم في المصاحف بالنقط بأمكنتها المعروفة الآن ، وكتبها الناس بمداد مخالف . وبعد تمايز أشكال الخط وتشابه أوضاع الحروف والتباس بعضها ببعض كالجيم بالحاء والدال بالذال أمر الحجاج نصر بن عاصم ويحيى بن يعمر تلميذي أبي الأسود فوضعا الإيحاء بالمداد الذي تكتب فيه الحروف للكلمة ثم جاء بعد ذلك الخليل بن أحمد فوضع الشكل على هذا النمط المعروف ، خل محل نقط أبي الأسود . هذا ما أوجزناه عن كتاب تاريخ الأدب العربي لأحمد حسن الزيات . ومنه نستنتج على أن القرآن لم ينزل محرراً .

وإذا ما رجعنا إلى الآية فيسرني أن أخبر (شاعر الوادي) بأي دقتها في (سورة الممتحنة) من المصحف الشريف طبع مطبعة كريمي (بومبي) فوجدت كلمة (الاسم) ما كنة للام وثابتة الف الهمزة ومكتورتها . فما هو السبب ؟ أن السبب بلا شك ينكشف من قاعدة التقاء الساكنين النحوية . فإذا قلنا (لم يكمل الامتحان) فالهمزة الأولى تدرج وحينئذ يلتقي لامان ساكنان فيكسر الأول وينبت الثاني على السكون شرطاً ولا يمكن أن يسكن الأول ويكسر الثاني لأنه علاوة على أنه ينبو عن الدوق فهو غير مسموع، وإذن فأصبح ثبوت الهمزة بعد (ال للتعريف) واجباً وغيره خاطئاً وفي هذا فصل الخطأ . وأما قول شاعر الوادي بأن البيت الثاني فيه تصحيف فحرر المقتطف أدري به لأن مسودته عنده

ولكني أستبعد التصحيف لأن زيادته كلمتان . هذا ما أردنا عرضه للشاعر محمد الصاوي
عمار، وله منا التحيات .

تقد عروضي

من حادتي أن أقرأ قصائد الشاعر عدنان مردم بك لما تمتاز به من طائفة جياشة، وهـ شاعر
رقيقة ، وخيال وثاب ، يرود رحاب الفضاء كما رادته حمامته الطائشة في نصيده المسماة (الحمامة
الطائشة) تلك القصيدة ذات الديباجة السهلة المنظومة على البحر الكامل والتي تكاد تكون
مصرعة إذ أن أكثر عروضاتها وأضرعها (فعِلن) ولكن بالرغم من بنيانها الكامل
المرصوس وجدت فيها بيتها الأخير مضطرب الوزن وهذا نصه .

أني لاهوى كل طائشة ضلت وقد زححت عن أيكها الجددا
لا شك أن من وزن هذا البيت يجد فيه زيادة هذا الجزء من العجز (ضلت و) كما يجد
أن صدر البيت من الكامل وعجزه على حالته الحاضرة من البحر البسيط
ولسكي يكون تام الوزن يجب أن يوضع على الوضع الآتي من النظم
أني لاهوى كل طائشة ضلت - إلى إيك لها - الجددا
ووزنه . مستفعِلن مستفعِلن فعِلن مستفعِلن مستفعِلن فعِلن
هذا والقصيدة موجودة في مقتطف يونيو لهذه السنة .

ولقد قرأت في مقتطف يوليو لهذه السنة أيضاً قصيدة رائعة بعنوان (فراق) والحق
أن القصيدة عبارة عن أنفاس مصطلية بنار لوعة الفراق المحرقة ، لا بل هي دموع سخينة
متناثرة على رمال صحراء الفراق المتوهجة ، جادت بها قريحة الشاعر المبدع (محمد فهمي)
ولقد لفتت نظري غفلة عروضية في هذا البيت وهو من مجزوء الرمل .

« من رأى ؟ ... هول هذا المنظر الدامي ... مطبقاً »

إن نقطة اضطراب الوزن هي في كلمتي (من رأى) إذ أن وزنها (فاعلاً = فاعِلن) غير
موجود في حشو الرمل والمدة ليست للهمزة ، بل للألف اللينة الساكنة ، ومهما يمدّها الشاعر
لا يمكن أن تكون (فاعلات) فعليه يجب أن يصحح البيت وليكن فرضاً على هذه الصورة
« من رأى ؟ ... هو لا لهذا المنظر الدامي ... مطبقاً »

ووزنه : — فاعلاتن فاعلاتن — فاعلاتن فاعلاتن

هذه غفلات وددنا التنبيه اليها — ويأما أكثر ما تعرض للأديب — يحدونا إلى ذلك
قول الدكتور يعقوب صرّوف : (وأجل في العلم مناقشة خفاة العلم مناقشته)

بَابُ أَخْبَارِ الْعِلْمِيَّةِ

د . د . ت . المحقق

لا يقتل السمك

أثبت ثقات العلماء الأمريكيين المتخصصين في علم الحياة ، نتيجة تجاربهم الست عشرة الخاصة برش مياه بمحيرات وادي تنيسي وبركة بسائل د . د . ت المعروف باسم إرروزول وذلك بالطائرات ابتغاء إبادة ما يوجد فيها من البعوض ، أن تلك

المادة لم تقتل السمك ولا أنواع الحيوانات الصغيرة التي تعيش في الماء فيقتل بها السمك ، بينما كادت تهلك البعوض بأمره . وقالوا إن المزيغ الذي استعملوه لتلك الغاية كان بنسبة ١/١٠ رطل المجليزي لكل ما كانت مساحته فدانا انجليزيا .

أنايب من العجائن الكيميائية^(١)

تحل محل الشرايين

أعلن الدكتور ث . ا . هفناجل الطبيب بنفر بوسطن في تقرير قدمه الى كلية الجراحين الأمريكية أنه قد نجح في استعمال أنايب من مادة الليوسيت^(٢) المصنوعة من العجائن الكيميائية ، طولها قدر عقدة أصبع ، وذلك بدل قطع تليف من الشريان الأهر « الأورطي » في الحيوانات ، عن طريق تثبيت هاتيك الأنايب في المواضع الخالية

بوساطة غرز من خيط حريري مضمور صنع لذلك القصد خاصة . فتبين له عقب إتمام تلك الجراحة ، أن ذلك الشريان المتصل بالجزء الليوسيتي ، قد قام بوظيفته خير قيام ، في نقل الدم ، كما يرام . مع كون الجراح المشار اليه لم يلجأ الى الاستعانة بالأدوية الضرورية لمثل هذه الحالة ، ومنها الهيبارين^(٣) والديكومارين اجتناباً لتجمد الدم

(١) راجع مقتطف يوليو سنة ١٩٤٠ (٢) مادة الليوسيت هي من مخترعات مصنع هادبون . ومنها تصنع أدوات شتى للسيارات وغيرها (٣) راجع مقتطف يناير ١٩٤٥ باب الاخبار العلمية

البحر الميت وكنوزه^(١)

أميال وعشرة أميال . ولما كان ذلك البحر تحديق به الجبال ، فإنه يتميز بميزة غريبة هي كون الجداول تصب فيه من الشرق والغرب والجنوب ، كما يصب فيه أيضاً من الشمال نهر الأردن المشهور جداً في الكتاب المقدس . وليس للبحر الميت منفذ . ومن الحال أن يتفرع منه أي نهر . وهذا أمر بدهي ، لأنه منخفض عن سطح البحر الأبيض المتوسط نحو ١٣٠٠ قدم ، ويبعد عنه نحو ٥٠ ميلاً ، وأقصى عمقه ١٣٠٠ قدم .

وسبب تسميته بالبحر الميت ، كونه محاطاً من كل جهة بأراضٍ جرداء ، ولا تعيش فيه إلا قلائل من المخلوقات المائية ، وذلك لقرط ملوحة مائه . ومن الأقوال المأثورة بشأنه ، أنه واقع فوق أطلال مدينتي سدوم وعمورة المذكورتين بسفر التكوين من التوراة . وهما تانك المدينتان اللتان دمرهما الله تعالى لتفاهق شرور سكانهما . ولكن العلماء يستبعدون ذلك القول . وفي البحر الميت ثروة معدنية وكيميائية لا تقدر بحال . وقد كشفت عنها جماعة من الكيميائيين البريطانيين الذين نالوا منذ نحو عشرين سنة ، امتياز استغلال تلك الدقائق الثمينة من حكومة فلسطين . وقد قدرت محتوياته من البوتاسا النقية وأملاح البروم والجبس وكالورور المغنيزيوم وغيرها من الفلزات المفيدة للزراعة والصناعة ، بما

جاء في البرقيات العمومية من لندن في الثاني والعشرين من شهر يوليو الماضي ما يأتي : —

قال مصدر في الحلي المالي بلندن لوكالة الأنباء العربية إن عدداً من كبار المصريين في الاسكندرية ، اشتركوا في المفاوضات التي قيل أنها جرت أخيراً لشراء امتياز البحر الميت الذي يمتلكه مستر ميتلند ادواردز . فتوخيت إعادة وصف هذا البحر ومنافعه الاقتصادية فيما يلي كأداة للقراء :

لا يحتاج المستحم ، من الأحداث في البحر الميت الى أية أداة كانت ، من أدوات الوقاية من الغرق . لأن ماء ذلك البحر العجيب (الذي تحيط به الأرض من كل جهة ويصب فيه نهر الأردن) محتو على كثير من الأملاح الذائبة فيه . حتى أن من يسبح فيه يرى نفسه طافياً على الماء كأنه كيس منفوخ بالهواء . والواقع أنه من الصعب على الإطلاق ، الغطس في الماء غطساً كافياً . لأن ماءه يشتمل على نحو ٢٤ ٪ من الأملاح المختلفة . ويسمى هذا البحر علمياً « بحيرة الاسفلت » وهو واقع في واد عميق بفلسطين وطوله ٤٦ ميلاً ، وعرضه يتفاوت بين ثمانية

(١) راجع مقتطف أكتوبر سنة ١٩٣٩ باب الاخبار العلمية .

ذهب يقوم بمخمسين بليوناً من الدولارات وهذا عدا ثروته الكيميائية . وأن ثلث ذلك الذهب الابرز ، كما يعتقد الدكتور كلود ، متاح استنباطه بالوسائل العلمية الحديثة في خلال ١٥ سنة تقريباً .

آلة كهربائية صغيرة للخياطة

تفتتح العلبة وتجعلها كمنضدة لجل الآلة أيضاً في أثناء الخياطة . ونستعمل فيها كرة معدنية بدلاً من (الخدافة) طارة الإدارة . ويُسلق الضوء على إبرتها ، من أنبوب من المجاشئ الكيميائية ، يقوم بحمي الأشعة لكي تضيء منطقة العمل ، ويسيطر على سرعتها ذراع معدني يدور بالقدم .

الراديو المصور ^(١) في حجر الجراحة بالمستشفيات

الجراحة ، وفتحها فتحاً أوتوماتيكياً . ثم وضع على المنضدة ميكروفون فكان ينقل صوت الجراح عند قيامه بمباشرة الجراحة وشرحه لتفصيلاتها ، على حين نصبت عشرة أبواق لإذاعة هاتيك المعلومات الجراحية القيمة فتلقاها ٣٠٠ طبيب . وعلى هذا النمط أصبح متاحاً بالراديو المصور ، اجتناب القيود المادية الخاصة بمدرجات حجر الجراحات وهي التي تجعل مشاهدة الطلبة لدقائق الجراحات ضمن نطاق محدود .

عوض جدي

يعادل ثلاثة أمثال دين الحكومة البريطانية للولايات المتحدة الأمريكية في الحرب العالمية الأولى . وما يروى في هذا الصدد أن الدكتور جورج كلود العلامة الفرنسي المشهور ، أبلغ حكومته أن البحر الميت ، يحتموي على

اخترعت حديثاً في افكتر الآلة كهربائية للخياطة ، مصنوعة من الأليومينيم ، تكاد تبلغ حجم آلة الكتابة ، «تايرايتر» الصغيرة الممكن حملها من مكان الى آخر . وثقلها ١٥ رطلاً إنكليزياً . وتوضع في علبة من الأليومينيم أيضاً ، تسهلاً لنقلها حيث تريد صاحبها . وعند ما تبلغ بها مكان العمل ،

تمت منذ بضعة أشهر في مستشفى جامعة جون هوبكنز ، تحت اشراف مندوبي شركة الراديو الأمريكية ، خمس جراحات ، قصد تجربة الراديو المصور بصفة كونه وسيلة من وسائل تعليم طلبة الطب ، حيث استعانوا على تنفيذ رغبتهم بالثين حساستين جداً من آلات التصوير الفوتوغرافي . فنصبت إحداها على مسند خفيف يعلو منضدة الجراحة علواً رأسياً قدره أربع أقدام ونصف قدم . ثم رُكبت المصورة الثانية ذات العدسة الخاصة بالتلفزة في الرواق الملحق بحجرة الجراحة . وذلك بينما تم من قبل ضبط المصورة التي نصبت فوق منضدة

(١) راجع مقتطف ابريل سنة ١٩٣٨

يكتشفون أمريكا الشمالية

قبل كولمبس بقرن ونصف قرن ؟

وليس هناك أثر يدل على أنهم كانوا يقتلون ، أو أن مزارعهم كانت تذهب طعمة النيران ، ومع ذلك فإن بعثة انقاذ ، زارت هذه المنطقة التي كانوا يعيشون بها عام ١٣٧٠ فلم تعثر على أثر لهم وكانت الماشية تضرب في الحقول شأن الوحوش البرية ، وكانت منازل القوم سليمة لم يحسها ضرر ، أما أهلها فلم يعثر لاحد منهم على أثر .

فأى أين ذهب هؤلاء ؟ ما دام هؤلاء القوم قد نزحوا عن موطنهم بطريق البحر ولم يعودوا الى إسكلندا أو النرويج ، فلا محيص من ذهابهم الى أمريكا ، وفي أمريكا بالذات يجب أن يقوم البحث عن آثار إقامتهم ، وهل ياترى زلوا في نيوفوندلاند أو لبرادور أو منطقة البحيرات العظيمة ، فذلك أمر يتكفل الزمن ببينه أما المقطوع به ، فإن هؤلاء القوم الاسكندنافيين القدامى الذين كانوا يعيشون في الشاطئ الغربي من جرينلندا قد هاجروا الى الأرض الأمريكية عندما ساءت علاقتهم بالاسكيمو ، أو لسبب قريب من ذلك ، وهذا ما يغير احدى دعاوى التاريخ التي نعرفها وهي أن كولومبوس أول من زار أمريكا من الجنس الابيض الأوربي ، فقد نزل هؤلاء البيض بأمريكا قبل رحلته اليها بمائة وخمسين عاماً .

قام العالم الدنمركي بنشر مولر بهحوث في الشاطئ الغربي من جرينلندا ، ونشر عن أبحاثه تقريراً جاء فيه : أنه لا يوجد أثر للهاجرين القدماء الذين أتوا من اسكنديناوه وحطوا رحالهم في ذلك الجزء من جرينلندا ولا يمكن تفسير ذلك إلا بأنهم هاجروا الى قارة أمريكا الشمالية قبل رحلة كولومبس بمائة وخمسين عاماً على الأقل ، وبذلك ثبت العالم الدنمركي أن الجنس الابيض عرف أمريكا قبل أن يكتشفها كولومبس برحلته المشهورة ويقول هذا العالم ، انه قد حدثت اقامتان في جرينلندا وذلك في القرن العاشر حين هاجر اليها قوم من إسكلندا ، نزل بعضهم على الشاطئ الشرقي وأقام الآخرون في شاطئها الغربي .

وظل النازلون بالشاطئ الشرقي على صلة بأهل أوربا حتى منتصف القرن الخامس عشر تقريباً ، وتدل مخلفاتهم الأثرية على أنهم كانوا يعيشون عيشة ضنك وبؤس . اذ تدل هياكلهم العظمية على آثار من سوء التغذية ، والمفهوم أن معظمهم قتلوا ضحايا الاسكيمو .

أما أهل الشاطئ الغربي من هذه الجزيرة فيبدو أنهم كانوا يعيشون في رغد وسلام ، ويظهر أنهم كانوا يختلطون بأهل الاسكيمو اختلاطاً كبيراً .

الروماتزم وأسبابه

جاءت النتائج الباهرة التي حققها الطب الحديث في معالجة أمراض الروماتزم وآلام المفاصل والأمراض الأخرى الناتجة عن نقص التغذية صورة صحيحة لتقدم العالم العلمي الفائق . وحيث أن هذه الأمراض لا تؤدي بحياة المصابين بها إلا بنسبة ضئيلة جداً وهي ليست من الأمراض السريعة الانتشار فلا تسبب حدوث أوبئة على الإطلاق وحيث أنها ليست ذات تأثير فعال في الحياة العامة غير أنها كثيراً ما تسبب للمريض آلاماً مبرحة وانحطاطاً طامساً في جميع أجزاء جسمه كما تعاني أسرته قلقاً شديداً وتثير عدم النظام في المصنع الذي يعمل فيه .

وقد يجد الطبيب صعوبة كبيرة في تعريف الروماتزم . ولكنه تبين أخيراً أنه من الأصوب وصفه بأنه اضطراب في وظائف الجهاز العضلي أو العظمي بسبب آلاماً وارتخاء في الحركة . أما أسبابه فلا تزال لسوء الحظ غامضة .

وحاول أعضاء جمعية مكافحة الروماتزم تقسيم الاضطرابات الروماتزمية الى عدة أقسام وإطلاق اسم معين على كل منها . ولكنهم فروا أخيراً تقسيمها وتسميتها بما يلي :

أولاً — التهاب « المفاصل » وهو الاضطراب الذي « يسبب » المفاصل عادة .
ثانياً — « الروماتزم غير المفصلي »

وهو الاضطراب الذي يصيب العضلات والأربطة وصائر أجزاء جهاز الحركة الدقيقة الصلة بين الحرفة والروماتزم

ويلاحظ أن لنوع الحرفة التي يزاولها الفرد صلة وثيقة بنوع الروماتزم الذي يتعرض له . فلو قسنا الحرف التي ينهض بها الذكور كالزراعة وأعمال المناجم والتعدين وأعمال البناء وصناعة الآثاث ومزاولة بعض الأشغال الخاصة والأعمال الكتابية وأعمال النقل وجدنا أن مرض التهاب المفاصل يشتد انتشاره بوجه خاص بين عمال المناجم . أما داء النقرس فيصيب عمال البناء

وإذا قسنا أنواع الحرف التي تؤديها الإناث كالبائعات أو الموظفات في المحال التجارية والعاملات في المنازل والعاملات باليومية والغسلات والكتابات والخطابات والعاملات في المطاعم وجدنا أن داء التهاب المفاصل ونوعاً آخر من أمراض المفاصل التي تصيب عادة المتقدمين في السن (تصلب مفاصل العظام) ينتشر بين العاملات في المنازل بنسبة مثوية كبيرة والنساء عامة أكثر عرضة لمرض التهاب المفاصل من الرجال الذين كثيراً ما يكونون عرضة لمرض الروماتزم غير المفصلي

أسباب الروماتزم لم تنزل غامضة
أما أسباب الروماتزم فلا تزال غير

المضنية مثلاً والمتاعب المالية والأمراض وموت أحد أعضاء الأسرة وانهجار القنابل في الاغارات الجوية في خلال الحرب العالمية الثانية وسوء حالة المعيشة - جميع تلك العوامل لها تأثير فعال في حدوث هذا المرض .

ومما يجدر بالذكر في هذا الصدد أن العوامل الجوية كذلك شأنًا كبيراً في الإصابة بالروماتزم . فقد يكثر انتشاره في المناطق الشمالية ولا سيما الأجواء الرطبة .

معروفة . ومن العوامل الهامة التي يمكن أن تسبب هذا المرض العدوى والحساسية واضطرابات الغدد والوراثة . وقد اتضح بعد إجراء البحث الدقيق أن مرض الروماتزم الذي يجيء نتيجة لسبب من هذه الأسباب باستثناء الأخير منها - وهو الوراثة - مضمون علاجه .

ووجد في عيادة من العيادات الطبية في لندن بعض حالات التهاب المفاصل ظهر أن لاختلال المعيشة اتصالاً وثيقاً بها . فالأعمال

الكشف عن آثار هامة

١٩٤٥ قطعتين فريدتين ، إذ لا يوجد لها مثيل في المتحف المصري

أما المنطقة القبلية الشرقية فقد أصفر الحفر بها عن كشف أسامات أخرى تكل المساكن التي عثر عليها في الموسم السابق وقد وجدت دفنات إلى داخل جدران المساكن وأما المنطقة الثالثة فتقع في الجهة الشرقية من الكوم ، وهي تقريباً في مستوى الأراضي الزراعية المجاورة لها وقد كشف بها عن حوالي ١٠٠ دفنة يرجع تاريخها إلى عصر الأسرة الثامنة عشر ١٥٨٠ - ١٣٤٠ قبل الميلاد ، وعثر معها على عقود

واقراط من الذهب والعقيق ومستأنف المصلحة الحفر في أجزاء أخرى في تلك الجبانة الشاسعة في الموسم القادم.

استأنفت مصلحة الآثار حفائر الموسم الرابع بمنطقة كوم الحصن مركز كوم حمادة بإشراف الأستاذ عبد الهادي حمادة مدير قسم التفاتيش وإدارة الأستاذ شفيق فريد مكرتير في القسم

وقد أجرى الحفر في ثلاث مناطق من الكوم فكشف في المنطقة الوسطى عن حوالي ٢٠٠ دفنة بعضها في الرمال أو في مقابر مبنية باللبن . والبعض الآخر داخل توابيت من الخشب أو من الجنس وجميعها يرجع إلى العصر الواقع بين الدولتين الوسطى والحديثة (١٧٨٠ - ١٥٨٠ قبل الميلاد)

وعثر أيضاً على مجموعتين من الجرارين من بينها جرران من الذهب الخالص دقيق الصناعة واضح التفاصيل . ولا شك أنه يؤلف مع الجراران الفضي المكتشف عام

١ اكتشاف عقار جديد « بال »

التها بآ حاداً ربما يفضي الى الموت وكانت القوات البريطانية مجهزة بدهان خاص يحمي الجلد من الحروق التي تحدثها هذه المادة اذا دهن به عقب الاصابة مباشرة ولكن ذلك لا يقي العين ولا يمنع تسرب البخار أو الغاز الى داخل البدن ومن المعروف ان أنشط عامل في مادة اللوزيت هو الزرنيخ . ولذلك اتجه البحث نحو إيجاد عنصر مضاد لهذا العامل له قوة تمحو أثر الزرنيخ العميق في الانسجة البشرية . ونتحقق هذا الغرض تألفت جماعة للبحث في قسم الكيمياء وعلم الاحياء بجامعة أكسفورد وبرئاسة البروفسور بيترز وقد نجحت هذه الجماعة في كشف سائل يزيل مفعول الزرنيخ في الجسم وأطلق عليه الاسم السالف الذكر في مقدمة هذه الكلمة . وقد دلت التجارب التي أجريت على الأفراد المتطوعين ان هذا الدواء يشفي الجلد من الحروق اذا عولج به بعد ساعة من الاصابة وكذلك الامر فيما يتعلق بالعين بعد عشرين دقيقة . واليوم أي بعد مرور عامين على اكتشاف هذا الدواء دلت التجارب على ان له أثراً فعالاً ضد التسمم بأملاح الزئبق كما انه يستخدم في علاج بعض أمراض القلب والأمراض الأخرى . وتجري الآن تجربة هذا العقار الهام ضد التسمم الناجم عن الرصاص والقصدير والذهب والمعادن الأخرى .

أذاع مجلس البحث الطبي لبريطانيا نبأ اكتشاف دواء بريطاني هام سيكون من أعظم الاكتشافات الطبية العالمية شأناً . ويعرف هذا العقار باسم « بال » وظهور هذا الدواء يعني أن الزرنيخ يمكن استغلاله الآن استغلالاً كاملاً كدواء من الأدوية . وقد عرف الأطباء منذ أعوام ان الزرنيخ أقوى في قتل بعض الجراثيم من أي مادة أخرى . كما عرفوا ان للزرنيخ قيمة عظيمة الشأن في علاج الأمراض الجلدية المزمنة والأمراض العصبية . ولكن استخدام الزرنيخ ظل محمداً بسبب تأثيراته أو أضراره الشديدة للانسجة البشرية على ان اكتشاف هذا العقار الجديد يعني أن هذه التأثيرات الضارة يمكن التغلب عليها سريعاً وتقلديها في أكثر الأحيان وأذاع مجلس البحث الطبي أخيراً نبأ النجاح الباهر في التغلب على ٤٤ حالة تسمم بريطانية بالزرنيخ

وقد بدأ البحث في اكتشاف هذا العقار في الأعوام الأولى من الحرب العالمية الثانية حينما كانت أخطر الأسلحة الكيميائية التي يخشى أضرارها هو مادة « لوزيت » ومنها يشق اسم هذا الدواء ، إذ لو سقطت نقطة واحدة من هذه المادة على الجلد لأصابته بحروق شديدة ، ولو أدرك رشاشها العين لابتلي المصاب بالعمى ، كما لو تسرب بخار هذه المادة السائلة الى الرئتين لأحدث فيها



مكتبة المقتطف

١ - ألحان الحان

للاستاذ عبد الرحمن صدقي — ٤٢٤ صفحة من القطع الكبير ومحلة بمدة صور

بالألوان من ريشة الفنان بيكار — دار المعارف بمصر

لقد تناول كثير من الكتّاب حياة أبي نواس بالبحث والدراسة ، ولكن ناحية من نواحي حياته — وهي أهم ما في حياته — ظلت بمعيدة عن الدرس الوافي وعن البحث المتقضي .

فقد كان أبو نواس شاعراً فناناً ، وكانت الروح الفنية في شعره هي التي دعت إلى الخروج على ما كان يتبعه من سبقة من الشعراء ، بل أنداده في عصره . خرج على وصف الطول ، ومال إلى ناحية جديدة جعل منها مادة للكثير من شعره . وكانت الروح الفنية فيه هي التي دفعته إلى القول في هذه الناحية في حرية لم يبال معها روح العصر ، ولم يأبه لمركزه في قصر أمير المؤمنين ، وقد طاش أبو نواس في هذا المحيط ونقل في شعره ألوان هذه الحياة نقل إحساس وتجربة ، لذلك كتب لشعره في هذه الناحية الخلود .

على أن هذا الجانب ظل — كما قلت — في حاجة إلى الدرس العميق حتى سد هذا النقص الأستاذ عبد الرحمن صدقي ، فكانت دراسته جديدة في بابها في الأدب العربي كما هي جديدة بين الدراسات التي تناولت حياة النواصي .

لقد تناول حياة هذا الشاعر في لهوه ، فقدم هذا إلى الكلام على البحر التي جعل منها

المعاصر عروس غزله ، وعرض صوراً جميلة لحانات الخمر ومجالس الشراب في ذلك العصر ، وما يستتبع ذلك من مفاتن ، فكان قديراً في العرض والتحليل ، ملئاً كل الإلمام بالدقائق في هذا الموضوع حتى استطاع أن يجعل للخمر حياة تدرس كما تدرس حياة الرجل الذي نفوذ فيها ، ثم درس العصر الذي عاش فيه الرجل وما شاع في مجتمعه من إباحية كان لها أثر كبير في الأدب .

ومن أمتع فصول الكتاب تلك البحوث التي تناول فيها الكلام على خمریات النواصي وخمریات الخيام ، فالأول كان يعاقرها لذاتها والمذاآتها . أما الثاني فكان يلاحظ إلهاماً لتسكين ثورة النفس عن طريق إشباع شهوات الحس ، وكذلك البحث في أوجه التناقض بين النواصي والمعرّي . إن هذا الكتاب يدل على روح الفن المتأصلة في مؤلفه .

٢ - كأس الحياة

بمجموعة قصص للأستاذ إبراهيم المعري — ١٤٣ صفحة من القطع المتوسط

دار المعارف بمصر

للأستاذ إبراهيم المصري أسلوبه العذب وفنه القصصي الجميل ، وهذه المجموعة تضم أربع عشرة قصة من وضعه ، منها ما يمس الجانب الاجتماعي في حياتنا فيكشف عن علل في حاجة إلى العلاج ينظر إليها بعين الفنان ، ومنها ما يتغلغل في صميم النفس الإنسانية فيكشف في البسيط منها والسادج عن جوانب سامية تثير الحس والشعور .

فقصة « بنت السلطان » على بساطتها عميقة الفكرة ، وكذلك قصة « دولت هانم » وهما مما يثير الحس ، ويمثل هذا الاتجاه بعض أقاصيص هذه المجموعة مثل « القاتل » و « العمياء » و « الحنان » وما شاكلها .

أما الأقاصيص التي عنوانها « اعتراف » و « الأرملة اللعوب » و « سلوى » و « مميرة هانم » وغيرها فهي من الطراز الذي طالع فيه الجوانب الاجتماعية في المجتمع في

تحليل دقيق

٣ - فلسفة الجمال

تأليف الأستاذ ا. ف. جارت . وتعريب الاساتذة عبد الحميد يونس ورمزي يسي
وعثمان نويه — ١٤٧ صفحة من القطع المتوسط — دار الفكر العربي

أراد الاساتذة عبد الحميد يونس ورمزي يسي وعثمان نويه أن يخدموا هذا الجيل بإشاعة
الإحساس بالجمال في النفوس لأن قوة النهضات لا تقوم إلا على أسس من هذا الإحساس
وبخاصة في هذا الوقت الذي طغت قوى الشر في النفوس فأفسدت فيها جوانب الخير وكادت
تطمس معالمها . فقاموا بنقل كتاب « فلسفة الجمال » الذي ألفه أستاذ فلسفة الجمال في
أ كسفورد وكبردج ومتشيجن .

وقد تناول المؤلف في الفصل الأول تفسير الخلاف في أذواق الناس وحكمهم على الأشياء
بالجمال والقبح . ثم ناقش في الفصل الثاني نظرية الجمال والحق وانتهى الى أن الجمال ليس هو
الحق ، بل هو حقيقة كائنة ، وإننا في إحساسنا بالجمال لا نغمر بكشف حقائق غير معروفة
قدر همورنا بنفاذ بصيرتنا في المهور المؤلف . كما ناقش في الفصل الثالث النظرية
القائلة بأن الجمال هو الخير ، ودلل على أنه ليس مفروضاً أن يكون كل ما يرضينا جميلاً . ثم
تكلم في الفصول الثلاثة الأخرى عن حقيقة الجمال ومثاله وعن الجمال والتعبير .
وفي الحقيقة ان هذا الكتاب المبسط في فلسفة الجمال لمن أتمم الكتب التي تبلغ بالنفس
الى الهدف الذي قصده المترجمون الأفاضل وهو اشاعة الإحساس بالجمال في النفوس .

٤ - بين العلم والأدب

الاستاذ قدرى حافظ طوقان — ٣٠٨ صفحة من القطع الكبير
مكتبة فلسطين العلمية

مؤلف هذا الكتاب معروف لقراء هذه المجلة منذ كان يوافيها ببجواته التي تجمع بين
دقة البحث العلمي ورقة الأسلوب الأدبي . وهذا الكتاب يجمع ما يقرب من الأربعين مقالة
تناولت شتى فروع التفكير الأدبي والعلمي بالأسلوب الذي عرف في صاحبها . منها ما تناول
مسائل في المجتمع كعاجتنا الى ما يحوي الخصائص العربية ، ومنها ما يتناول عالم الأرقام ، ومنها
ما يتغلغل في عجائب الكون .

فالعالم يجد فيها لذة التفكير وعمقه ، كما يجد الأديب فيها لذة المزج بين الأدب والعلم وتبسيطهما . وقليل من المهتمين بالمسائل العلمية من يوفق الى ذلك

٥ - كريم الدين البغدادي

الجزء الثالث من حلقة « أولادنا » - ١٠٨ صفحة من القطع المتوسط -
دار المعارف بمصر

في مقتطف فبراير سنة ١٩٤٧ كتبت كلمة عن جهد دار المعارف في الناحية الثقافية للنشء ، وأشارت الى المهمة التي تنهض بها هذه الدار في الاشراف الفعلي على الثقافة الى جانب وزارة المعارف وتجاوزها حدود هذا الوطن الى أوطان العربية جمعاء وذلك بمناسبة صدور السلسلة التي أخرجتها بعنوان « روضة الطفل » ثم قلت ان هذه الدار آخذة بسبيل إصدار مجموعة أخرى في هذا المضمار بعنوان « أولادنا » . واليوم أعود فأكرر الاشادة بهذه الجهود الجبارة بمناسبة صدور الحلقة الثالثة من السلسلة الأخيرة التي يشرف عليها المربي الكبير الأستاذ محمد فريد أبو حديد بك ، وقد صدر منها جزءان ، الأول « همرون شاه » والثاني « مملكة السحر » .

وتمتاز هذه القصص بسمو الخيال وحلاوة التعبير مما سيكون له أثر كبير في تهذيب ملكات الأطفال ، كما تمتاز بأناقة الطبع التي تميزت بها مطبوعات هذه الدار

٦ - آثار أدبية من الحجاز

بعد أن فرغ الأديب الحجازي الأستاذ احمد عبد الغفور عطار من إصدار ديوانه « الهوى والشباب » في العام الماضي تفرغ للنشر فأخرج في هذا العام مجموعة من الكتب . اثنتان منها للأدب الخالص وهما « المقالات » في ٢٣٨ صفحة من القطع الكبير الطوت على عدة بحوث ونظرات في الأدب والحياة . و « أريد أن أرى الله » وهو مجموعة قصصية في ١٤٦ صفحة من القطع المتوسط ضمت سبع قصص منها اثنتان مترجمتان ، والخمس وضعها المؤلف ، وامل هذه القصص هي باكورة القصة في الأدب الحجازي . ثم وضع في باب التراجم ثلاثة كتب أولها « صقر الجزيرة » ويقع في ثلاثة أجزاء بلغت صفحاتها ٧٧٧ صفحة من القطع الكبير تناول فيها حياة العادل العربي الكبير ابن سعود وأرخ فيها اقيام

المملكة السعودية وما مرّ بحياة بطل الجزيرة خلال ذلك من الحوادث حتى دانت الجزيرة له وذلك في أسلوب قصصي شائق . وقد ضمت هذه الترجمة من الوثائق ما يزيد في قيمتها التاريخية .

أما الكتابان الآخران ، فأحدهما عن وليّ عهد المملكة السعودية ، سمو الأمير سعود ، والآخر عن وزير الدفاع سمو الأمير منصور ، ويقع الأول في ١٨٠ صفحة والثاني في ١٢٠ صفحة من القطع المتوسط . وقد أبان فيهما عن شخصية هذين الأميرين العظيمين اللذين ورثا عن أبيهما روح البطولة والإقدام .

٧ - ذكرى الأمير شكيب أرسلان

٥٢٦ صفحة من القطع الكبير — طبع بمطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه

كانت نخبة الأدب العربي في الأمير شكيب أرسلان لا تقل عن نخبة العروبة فيه ، فقد كان عالماً من أعلامه وكان من قادة الرأي الذين خلّدوا اسمهم في صفحات التاريخ خلوداً يغبط عليه . لذلك لم يكن عجيباً أن يقام له في كل بلد عربي حفل يجتمع فيه قادة الرأي وزعماء الفكر والبيان لتأبين هذا الأمير — الأمير في نسبه وخلقه وبيانه وإباء نفسه واحتماله لكل صنوف العنف والاضطهاد في سبيل تحرير الشرق العربي .

وقد قام المجاهد العربي الأستاذ محمد علي الطاهر بالوفاء لذكرى هذا المجاهد الكبير فجمع في هذا الكتاب ما قيل في الفقيه من المراثي على المنابر وفوق صفحات الجرائد ، وطبعه طبعاً أنيقاً فكان صنيعاً حسناً منه للراحل الكريم في مثواه . وقد تناول الأستاذ الطاهر حياة الفقيه بدراسة وافية تبين عن صفة معلوماته بالراحل الكريم

حسن كامل الصبر في

كتاب الجامع لأحكام القرآن

صدر الجزء السادس عشر من كتاب الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله أحمد الانصاري القرطبي وهو كتابه من الأجزاء التي صدرت حاوية لتفسير آيات الكتاب الكريم . وهو يطلب من دار الكتب المصرية . وثمن النسخة الواحدة ٣٥ قرشاً يضاف إليها أجرة البريد .

من وراء الأفق

ديوان شعر للاستاذ محمد عبد الغني حسن
دار المعارف بمصر — صفحاته ١١٠ من الحجم المتوسط

الأستاذ محمد عبد الغني حسن باحث مرموق يركب العناء في سبيل التوفّر على استقصاء جوانب موضوع معين أو نقد كتاب من الكتب التي تستضيفها المكتبة العربية في كل يوم . وهو في هذا المضمار ينتهج المنهج العلمي الصحيح فيرجع الى المظان يستقيها ، ويعول على العقل يزن به المحجج ويستخلص بمعونه النتائج الصائبة .

وهو الى جانب هذا شاعر يتوخى استخدام اللفظ السهل والمعنى القريب ، فلا يعتمد الى التعقيد أو يحمل القارئ شطط الغوص وراء معنى مستسر أو مقصد خفي .

وديوانه الأخير « من وراء الأفق » ديوان جرى فيه هذا الجرى السهل ، يصوغ عباراته وألفاظه صوغاً ميسراً ، ويستطيع أن يقول الشعر حيناً ليناً ، حتى ليسع العادي من القارئ أن يفهم مفردات قصائده ومجملها بغير حاجة الى استشارة المعجمات وإجهاد الفكر .

والشاعر — على تقيض كثيرين من أتباعه — مفتون بالجامعة ، يكاد ينشد كل شعره في تصوير جمالها وبروائها . ولن تجد في الديوان على كثرة ما احتواه من قصائد ، قصيدة حب أو ترنيمة هوى مع أن فرائده كافة انتظمت عقودها والشاعر لا يزال في مستقبل العمر يطلب العلم ويعرف « إلين » ويظفر برسم فتاة مرحة تمشق ظلال الصنوبر . ولذلك تجد الديوان خلواً من شعر العاطفة ، وهو في عرف أكثر أنواع الشعر تعبيراً وإفصاحاً . ولست أدري هل تعتمد الشاعر بعدما أضحي يحث الخطى الى الكهولة أن يدفن شعر العاطفة بين جوانحه ويطوي صفحاته في مكان نفسه ، أم انه لم يجد بشعر العشق والهوى وهو شعر السليقة والسجية . ولعله قنع من شعر الحب بالعتاب والنحيب ، ومن ذلك قوله :

في ذمة الله ليلاقي التي سلفت وأخضبت بالهوى فيهن أوراقي
كم لالات بمنانا أي لالاة وأشرفت بهوانا أي اشراق

أخلفت بالصد ميثاق الهوى زمناً لكنني في الهوى أحكت ميثاقى

والاستاذ عبد الغني حسن في مجال الوصف جولات موفقة ، وإن كانت له جولات
أخرى غلبت عليها الصنعة والكلفة. ومن أبياته الجميلة في وصف النيل قوله :
ينظم الله به الروض كما ينظم الناظم عقداً من جان
لا تقولوا هو من ماء الحيا إنه يا مصر من ماء الجنان
هو أنغام على وجه الثرى وأناشيد عذاب وأغاني
ومن نظمته التصويري الرائع قوله :

ذلك الجدول يا إيلين في الغابة حالم
هو كالطفل على صدر الفتاة الطهر جاثم
يسرق الخطو كما يمشي إلى الريبة آثم
همسه فوق حصي الغابة بالفتنة ناغم
خافت الصوت كشـيخ حازم التوبة نادم
وشماع الشمس فوق الغابة الخضراء باسم

وله في الوطنية بضع قصائد شبيـع في واحدة منها جنازة الامتيازات الأجنبية التي
رزحت مصر تحت عبئها ردحاً ، وحياً في ثانية الزعيم سعد زغلول وشد في ثالثة على
أيدي نسوة الشرق وقد ائتلف عقدهن في مؤتمر نسوي عام .

ولست أدري لم أكتفى الاستاذ عبد الغني بأن يطوي ديوانه هذا على قصائده التي
نظمها منذ خمسة عشر عاماً أو نحوها ، وآثر أن يدع قصائده الجديدة مطوية غير منشورة .
فلا ريب أن الشاعر يوداد مع الأيام تمكناً وتأنصلاً فيه الشاعرية كلما اطرّد غُـنـمـه من
المطالعات . وأذكر أنني قرأت له شعراً حديث العهد يفوق كثيراً بعض ما ضُـمِّن ديوانه
« من وراء الأفق » ، وكان يجدر بالشاعر أن يضيفه إلى ديوانه ليعززه ويفخذه
« بدمٍ جديد » .

وعنه الملاحظة أسرفها وجه خاص به ما قرأت ما كتبه الاستاذ سهيل ادريس من
تقديم ديوان عبد الغني حسن في مجلة « الأديب » البروتية وقد جاء فيه « إننا لم نجد في
هذا الديوان إلاّ شعراً باهتاً لا شخصية له ولا ميزات ، هو شعر لا تجول في ثناياه

الأحاسيس المرهفة، ولا تلتهم المعاني المبتكرة، وليس فيه إلاّ الوصف العادي الذي لا يضي على الموصوف أي جمال، بل لا يكاد ينجح في أن يصف جماله الطبيعي .

ولو علم الأستاذ ادريس أن معظم شعر « من وراء الأفق » نظمه الأستاذ عبد الغني حسن وهو لا يزال طالباً في معاهد أوربا وأنه لهذا السبب حوى مثالب وافتقر إلى « الشخصية » لكان لیسناً في نقده رفيقاً في عرضه للديوان .

وربع فلسطين

مجلة الأديب

يسرّ مجلة المقتطف أن تشيد بالمجهود الطيب الذي يبذله الأستاذ ألبير أديب باصداره مجلته « الأديب » في حاضرة لبنان، فهي مجلة أدبية علمية اجتماعية فنية تعني بالبحوث التي تتصل بمسارب الفكر وتنشر الرفيع من الأدب من كل قطر عربيّ ومن مهاجر اللبنانيين في ربوع الكرة الأرضية .

ومن الموضوعات النفيسة التي ضمها عدد شهر أكتوبر (تشرين الأول) بين دفتيه مقال للأستاذ قدري قلعجي عن « المتقنين والمجتمع » ومقال نفسي للأديب المغربي المعروف الدكتور أبو مدين الشافعي، وقصيدة شعرية رائعة للشاعر السوري الموهوب عمر أبو ريشة، وصفحة تعرض جانباً من عبقرية الألم في حياة الموسيق الكبير بيهوثن للأديب السوري أنطون حمصي، وقصة تغلب عليها النزعة الفلسفية عنوانها « طفل » للأديب المصري الأستاذ يوسف الشاروني، وقصة أخرى للقاصّ المصري المعروف الأستاذ أمين يوسف غراب، وبحث مترجم عن الإيطالية بعنوان « التأليف الكبير » للأستاذ مصطفى آل عيال، وصفحة من الشعر الوصفي المنشور للأديبة الأردنية ثريا ملحس، وأشعار للأستاذة عبد اللطيف شرارة وعلي محمد شلق وناصر بن سليمان أبو حميد، وموضوعات طليعة أخرى للأستاذة فؤاد أيوب وسعيد تقي الدين وقدرى حافظ طوقان وجلال فاروق الشريف وأنطون مارين والأنسة نجوى قعوار عدا أبواب المجلة الشهرية وهي باب الأخبار العامة وباب مكتبة الأديب وجولة الأديب في شهر وبرقيات أدبية وأنباء العالم في شهر .

« ومجلة الأديب » على حدّثة عهداً بالظهور تعدّ في طليعة المجلات الأدبية في العالم الناطق بالضاد، ويستطيع الأدباء المصريون أن يقتنوها بالاتصال بوجيه فاسطين في جريدة وثمن النسخة عشرة قروش مصرية .

فهرس الجزء الرابع

من المجلد الحادي عشر بعد المئة من المقتطف

٢٢٥	السكروليرا أو الهواء الأصفر : نقولا الحداد
٢٣٣	للقاية من السكروليرا : تعليمات وزارة الصحة
٢٣٥	سيكولوجية النمو وعلاقتها بالتربية : محمود حامد شوكت
٢٤١	الانسان هذا الفخر الأعظم : أمين نعوم
٢٤٩	الطفل المبتسر : الدكتور عبده رزق
٢٥٣	الثقافة العربية في الجزائر تستصرخ العرب : محمد الحاج الناصر الجزائري
٢٥٧	الباب الذي امتنع غلقه (قصة) : فؤاد عوض واصف
٢٦٨	أبو العلاء المعري ، فلسفته وأدبه وقوة ذاكرته : ادوار مرقص
٢٧٢	المجنونة الشريفة « الأشاعة » (قصيدة) : دكتور أحمد زكي أبو شادي
٢٧٢	كيف تكتب : مصطفى عبد اللطيف السحرتي
٢٣٤	علة الفاقة : وديع فلسطين
٢٧٩	أمراض العيون : الدكتور عبد المسيح جرجس
٢٩٢	التجديد والأدب العربي : محمد توفيق عز
٢٩٥	كيف يتكلم الموتى للعلامة الروحي شو دزموند : ترجمة أحمد فهمي أبو الخير
٢٩٩	نظرية القدرة : شريف النشاشيبي
٣٠٢	حالم الدماغ -- شعر علمي فلسفي : نقولا الحداد
٣٠٤	شوقي وحافظ : حسن كامل الصيرفي
٣١٤	هل يكفي الخروج من كتلة الاسترليني لتحقيق استقلال مصر المالي : أحمد عنان بك
٣٢٣	صابون الحرب : عوض جندبي
٣٢٨	المراسلة والمناظرة * النظائر والطاقة الذرية . فؤاد جيمان . تعليمات أدبية رد على توضيح . تقد عروضي : رشيد السعد
٣٣٥	أخبار علمية * د . د . ت لا يقتل السمك . أنابيب من العجائن الكيميائية تحل محل الشرايين البحر الميت وكنوزها . آلة كهربائية صغيرة للخياطة . الراديو المسوري حجر الدراسة بالمستشفيات : عوض جندبي . يكتشفون أميركا الشمالية قبل كولمبوس بقرن ونصف قرن . الرومانزم وأسبابه . الكشف عن آثار هامة . اكتشاف عقار جديد (بال)
٣٤٢	باب المكتبة * (١) ألحان الحان (٢) كائن الحياة (٣) فلسفة الجمال (٤) بين العلم والأدب . (٥) كريم الدين البندادي (٦) آثار أدبية من الحجاز (٧) ذكرى الأمير شكيب أرسلان : حسن كامل الصيرفي . الجزء السادس عشر من كتاب الجامع لأحكام القرآن : لقراطي . من وراء الأفق : وديع فلسطين . مجلة الأدب